مجموعة مؤلفات فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي (٥١)

شَرْحُ
«اللُّمْعَةِ فِي الْأَجْوِبَةِ السَّبْعَةِ»

لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ

شرح
عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

شَرْحُ

«اللُّمَعَةِ فِي الْأَجْوِبَةِ السَّبْعَةِ»

لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ

كل الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

تم الصف والإخراج في
مؤسسة عبدالعزيز الراجحي الوقفية

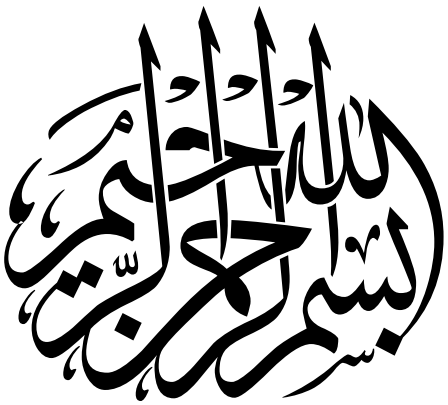
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلَّا علىٰ الظالمين، وأصلي وأسلم علىٰ عبد الله ورسوله نبينا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

فإن تعلم العلم وتعليمه من أفضل القربات وأجل الطاعات؛ ينال به الإنسان عند ربه أفضل الدرجات، فلا طريق للجنة إلَّا بالعمل الصالح، ولا عمل إلَّا بعلم.

وخلقنا الله تعالىٰ لعبادته وتوحيده وطاعته كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذّاريَات: ٥٦]، ولا طريق لنا لمعرفة تفاصيل هذه العبادة إلَّا بالعلم، فلا بُدَّ من العلم بما أمر الله به حتىٰ يفعله المسلم، والعلمِ بما نهىٰ الله عنه حتىٰ يتركه.

ومِنْ رحمته سبحانه بعباده أنه لم يخلقهم عبثًا ولم يتركهم سُدًّا، بل بَيَّنَ لهم ﷻ السُّبُلَ التي توصل إليه وكلَّ أمر يحبه ﷻ وكلَّ أمر يكرهه علىٰ ألسنة رُسُلِهِ، فأرسل الله تعالىٰ الرُّسُل مبشرين ومنذرين كما قال سبحانه: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البَقَرَة: ٢١٣].

وكان حظنا من الرُّسُلِ نبينا محمد ﷺ أفضل الخلق علىٰ الإطلاق، مَنَّ الله به علىٰ هذه الأمة، وكان ﷺ مِنْ العرب، بعثه الله بالحقِّ بشيرًا ونذيرًا، يتلو آيات الله التي تزكي النفوس، ويعلم الناسَ

الكتاب والحكمة، وقد كانوا قبل بعثته عليه الصَّلاة والسَّلام في ضلال مبين وبُعْدٍ عن الحقِّ واضح.

وكان عليه الصَّلاة والسَّلام أرحم الناس بأمته، حريص علىٰ هدايتها وإيصال النفع الدنيوي والأخروي إليها، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٦٤]، وقال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبَة: ١٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجُمُعَة: ٢].

وقد بلَّغَ نبينا عليه الصَّلاة والسَّلام الرِّسالة وأدَّىٰ الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حقَّ جهاده حتىٰ أتاه مِنْ ربِّهِ اليقين، فصلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ إخوانه من النبيين والمرسلين، وعلىٰ أصحابه وأتباعه إلىٰ يوم الدين.

ولم يمت عليه الصَّلاة والسَّلام حتىٰ أكمل الله به لهذه الأمة الدين، وأتم عليها به النعمة، قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المَائدة: ٣].

ولم يترك عليه الصَّلاة والسَّلام شيئًا تحتاجه الأمة إلَّا بَيَّنَهُ لهم، قَالَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه: «**لَقَدْ تَرَكَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ وَمَا يُحَرِّكُ طَائِرٌ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا أَذْكَرَنَا مِنْهُ عِلْمًا**»(١)، وفي «صحيح مسلم»(٢) عَنْ

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٥٣).
(٢) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، رقم (٢٦٢).

عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ سَلْمَانَ قَالَ : قِيلَ لَهُ: «قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ ﷺ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّىٰ الْخِرَاءَةَ؟» ـ يعني : أحكام الاستنجاء والاستجمار ـ، قَالَ : فَقَالَ: «**أَجَلْ، لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقَلَّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ**».

ومِنْ أعظم ما يهم الأمةَ ويكون سببًا في نجاتها وسعادتها تعليمها التوحيد ونهيهم عن الشِّرك، ولذا أنزل الله تعالىٰ هذا الكتاب العظيم الذي هو أعظمُ وأفضلُ كتابٍ، مَنْ عَمِلَ بما فيه فهو السعيد، ومَنْ تركه وأعرض عنه فهو الشَّقِي.

بَيَّنَ الله تعالىٰ في هذا الكتاب العظيم طريقَ أهل السعادة وأهل الشَّقاوة وصفاتِ المؤمنين والكافرين والمنافقين، وفيه الدعوة إلىٰ الطريق الموصل إلىٰ الله، والنهي عن طرق الضلال الموصل إلىٰ الجحيم، والهداية لأقوم الطرق وأحسن الأخلاق، والبشارة للمؤمنين بالجنات والتنعم في دار الكرامة، والنذارة والتحذير للكفار من النار دار الذُّلِ والمهانة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الإسرَاء: ٩-١٠]، فأكمل الله لهذه الأمة الدين، وبلَّغَهُ النبي ﷺ البلاغ المبين، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، فلما انتهت مهمته عليه الصَّلاة والسَّلام أنزل الله عليه في آخر حياته سورة «النصر»، وجعل له علامة ـ وهي مجيء نصر الله وفتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجًا ـ إذا رآها فقد قرب أجله عليه الصَّلاة والسَّلام، قال تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ

رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ وَرَأَيْتَ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [النصر: ١-٣]، وفقه ذلك حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وعلم أن هذه الآية علامة دنو أجله عليه الصَّلاة والسَّلام، في «صحيح البخاري»(١) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ: «لِمَ تُدْخِلُ هَذَا مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ؟!»، فَقَالَ عُمَرُ: «إِنَّهُ مَنْ قَدْ عَلِمْتُمْ»، فَدَعَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ، فَمَا رُئِيتُ أَنَّهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ، قَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾﴾؟»، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: «أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا»، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: «أَكَذَاكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟»، فَقُلْتُ: «لَا»، قَالَ: «فَمَا تَقُولُ؟»، قُلْتُ: «**هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَعْلَمَهُ لَهُ**»، **قَالَ: «﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ وَذَلِكَ عَلَامَةُ أَجَلِكَ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ وَرَأَيْتَ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾** [النصر: ٣]»، فَقَالَ عُمَرُ: «مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ».

وخير الناس وأفضلهم الصحابة الكرام الذين صحبوا رسولَ الله ﷺ، ولا كان ولا يكون أحد مثلهم؛ آثرهم الله تعالىٰ بصحبة نبيه فأسلموا عن طواعيةٍ واختيار، وذاقوا حلاوة هذا الدين فكان أحبَّ إليهم مِنْ أنفسهم وأهليهم وأموالهم.

وكان نبيهم محمدٌ ﷺ أحبَّ إليهم مِنْ كلِّ شيء، يَفْدونه بكلِّ غالٍ ونفيس، وكان يتنزل الوحي عليه ﷺ وهو بين أظهرهم فيبيِّن لهم آياتِ الله وأحكام شرعه، وكانوا يجاهدون مِنْ بين يديه ومِنْ

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب «قوله ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ وَرَأَيْتَ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [النصر: ٣]»، رقم (٤٩٧٠).

خلفه وعن يمينه وعن شمائله حتىٰ استقرَّ هذا الدين وانتشرت الشريعة، فهم خير الناس وأفضلهم، ومَنْ طعن فيهم أو سبَّهم أو تنقَّصهم أو بعضًا منهم فذلك لمرض في قلبه؛ فحب الصحابة دينٌ وإيمانٌ وإحسان، وبغضهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ كما قال **الإمام الطحاوي** رَحِمَهُ اللَّهُ في «عقيدته»[(١)].

وخلَفَهُم التابعون، فدعوا إلىٰ دين الله وجاهدوا في الله حقَّ جهاده، ثم خلَفَهُم تابعو التابعين، وهكذا مَنْ بعدهم، والعلماء في كلِّ زمان ومكان يدعون إلىٰ الله، ويجاهدون في سبيله، ويبيِّنُون للناس الشرع والأمر الذي خلق الله العباد له، ويترسمون في ذلك خطىٰ النبي ﷺ والصحابة الكرام.

ولَمَّا تطاولت العهود والأعصار وبَعُد الزمان عن زمن الوحي حصل للناس ضعف في دينهم وظهرت الفرق المنحرفة، فظهر في أواخر عهد الصحابة **الخوارج** الذين اشتبهت عليهم بعض النصوص فتأوَّلوها علىٰ غير تأويلها، وجعلوا النصوص التي وردت في الكفار في عصاة الموحِّدين فاعتقدوا أن المسلم يكفر بفعل الكبيرة، فكفَّرُوا المسلمين وقاتلوهم واستحلوا دماءهم وأموالهم[(٢)] فبيَّنَ لهم الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ خطأهم وزيغهم، ولَمَّا لم يرجعوا قاتلوهم، ثم ظهرت عقيدة **السبئية المنسوبة** إلىٰ **ابن سبأ اليهودي**، وهي طائفة تنتحل التشيع والغلو في عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وآل البيت، وتدعو إلىٰ تأليههم وعبادتهم مع الله وسبِّ الصحابة والطعن فيهم[(٣)]، ثم ظهرت عقيدة **القدرية**،

(١) «العقيدة الطحاوية» (ص ٥٧).
(٢) انظر: «العقيدة الواسطية» لابن تيمية (ص ٣٩).
(٣) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٧٤).

وقالوا : «إن الله لا يعلم بالأشياء إلَّا بعد وقوعها، وأنَّ الأمر أنف»[(١)]، ثم **المرجئة**[(٢)]، **ثم عقيدة الجهمية** على يد **الجهم بن صفوان** فأنكر صفات الله ﷻ[(٣)]، وتقلدها عنه **المعتزلة**[(٤)]، **ثم تشعبت فرق القدرية والمرجئة** وكثرت فانبرىٰ **العلماء والأئمة** لها وتصدوا للردِّ عليهم، وردُّهُمْ إلىٰ حظيرة الحقِّ والصواب، وألَّفُوا في ذلك المؤلفات والكُتُبَ والرسائل التي تبين للناس الحقَّ الذي التبس علىٰ كثير منهم.

ومِنْ أشهر هؤلاء العلماء الأئمةُ الأربعة، **أبو حنيفة النعمان بن ثابت** المتوفىٰ سنة (١٥٠ هـ)، **والإمام مالك بن أنس** المتوفىٰ سنة (١٧٩ هـ)، **والإمام الشافعي** المتوفىٰ سنة (٢٠٤ هـ)، **والإمام أحمد بن حنبل** المتوفىٰ سنة (٢٤١ هـ).

وتسلط **المعتزلة** في زمان **الإمام أحمد** رحمه الله وأثَّرُوا علىٰ **المعتصم** ومِنْ بعده **المأمون**، وامتُحن الناس ليقولوا بخلق القرآن، وتصدىٰ لهم **الإمام أحمد** رحمه الله وردَّ عليهم فوقف وقفة صادقة ولم ينثن أو يهن، وصبر علىٰ الابتلاء والأذىٰ حتىٰ صار إمامَ أهل السنة والجماعة، حتىٰ **قال علي بن المديني** : «إن الله أعزَّ هذا الدين برجلين ليس لهما ثالث، **أبو بكر الصديق** يوم الرِّدة، **وأحمد بن حنبل** يوم المحنة»[(٥)]، فصمد لها **الإمام أحمد** رحمه الله حتىٰ انجلت.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» لابن تيمية (٢/ ١٥٢)، (٧/ ٣٨١).
(٢) انظر: «الملل والنحل» (١/ ١٣٩).
(٣) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ٣٥٢).
(٤) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٥/ ٤٦٦).
(٥) انظر: «تاريخ بغداد» للخطيب (٤/ ٤١٨).

ويقيض الله تعالىٰ في كلِّ عصر لهذه الأمة مَنْ يجدِّد لها دينها، وكان مِنْ هؤلاء الأئمة المجاهدين **الإمام المجاهد الصابر شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ، ظهر في القرن السابع الهجري، وقيضه الله للردِّ علىٰ الملاحدة وأهل البدع، فألَّف المؤلفات وصنَّفَ الرسائل في الردِّ علىٰ **الفلاسفة والرافضة والقدرية والمعتزلة والخوارج والصوفية وغيرهم من أهل البدع**، وانتفع الناس بهذه الكُتُب والمصنفات أيما نفع؛ لإخلاص هذا الإمام وعلمه الغزير وبصيرته في دين الله التي أعطاه الله إياها، وما زال الناس مِنْ عصره إلىٰ يومنا هذا وهم يستفيدون مِنْ كُتُبِهِ وينهلون مِنْ معينها، وقد جمع **الشيخ عبد الرحمن بن قاسم** رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ مؤلفاته ورسائله ما بلغ سبعة وثلاثين مجلدًا، وهي المشهورة بـ «مجموع الفتاوىٰ»، وله رَحِمَهُ اللَّهُ رسائل كثيرة جدًّا.

ومِنَ الرسائل التي ألَّفها هذه الرسالة التي بين أيدينا «**اللمعة في الأجوبة السبعة**»، وغالب رسائله رَحِمَهُ اللَّهُ أجوبة عن أسئلة توجه إليه فيجيب عنها ثم تنشر.

ولا شكَّ في نسبة هذه الرسالة إلىٰ **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فاسمه رَحِمَهُ اللَّهُ موجود في أول المخطوطة كما ذكر **المحقق**[(١)]، **ثم إن أسلوب الكتاب أيضًا أسلوب شيخ الإسلام** رَحِمَهُ اللَّهُ، وكذلك إذا قارنت المواضيع والمسائل التي تعرَّض لها **شيخ الإسلام** رَحِمَهُ اللَّهُ في كتبه فإنها لا تختلف عما قرره رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه الرسالة من المسائل والأحكام فحصل بذلك اليقين بأن هذه الرسالة له، وهذه الرسالة

(١) تم إثبات نسخة المتن من الطبعة التي خرجت بتحقيق وتعليق **سليمان بن صالح الغصن**، الناشر «دار الصميعي»، الطبعة الأولىٰ ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

مطبوعة ضمن الرسائل التي جمعها **الشيخ عبد الرحمن بن قاسم** رَحِمَهُ اللَّهُ في «مجموع الفتاوىٰ»[(١)].

وأما تسميتها بـ «**اللمعة في الأجوبة السبعة**» فلا يجزم بأنها من **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فلم تسمَّ في «مجموع الفتاوىٰ» بهذا الاسم، ولكن وجد هذا الاسم في بعض نسخ المخطوط فيحتمل أن يكون قد وضعه بعض تلاميذه رَحِمَهُ اللَّهُ أو مَنْ بعدهم؛ رأىٰ الأسئلة التي وجهت **للإمام** رَحِمَهُ اللَّهُ وأجاب عنها سبعةً فسمَّاها «**اللمعة في الأجوبة السبعة**»، وهذا هو **الأقرب**.

وهذه الرسالة جواب عن أسئلة سبعة وردت عليه، وكلها تتعلق بالتوحيد وإخلاص الدين لله تعالىٰ.

كتبه
عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٢٧/ ٦٤ ـ ١٠٥).

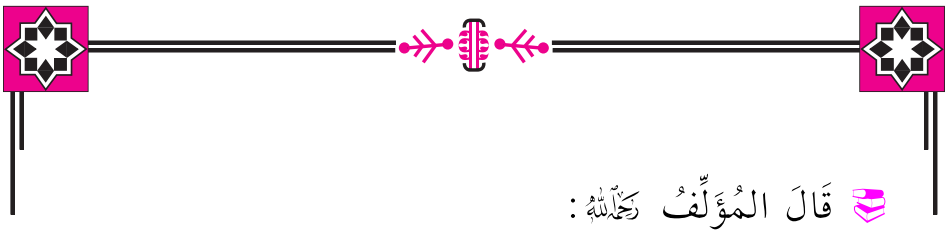

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

ما تقول السادة العلماء أئمة الدين وعلماء المسلمين رضي الله عنهم أجمعين فيمن يزور القبور ويستنجد بالمقبور في مرض به أو بفرسه أو بعيره، يطلب إزالة المرض الذي بهم، ويقول: «يا سيدي، أنا في جيرتك، أنا في حسْبك، فلانٌ ظلمني، فلانٌ قصد أذيتي»، ويقول: «إن المقبور يكون واسطة بينه وبين الله تعالىٰ».

وفيمن ينذر للمساجد والزوايا والمشايخ حيهم وميتهم بالدراهم والإبل والغنم والشمع والزيت وغير ذلك، يقول: «إن سَلِمَ ولدي فللشيخ عليَّ كذا وكذا»، وأمثال ذلك.

وفيمن يستغيث بشيخه إذا أصابته نائبة أو سمع حسًّا خلفه أزعجه استغاث بشيخه يطلب تثبيت قلبه من ذلك الواقع.

وفيمن يجيء إلىٰ شيخه ويستلم القبر، ويمرغ وجهه عليه، ويمسح القبر بيديه، ويمسح بهما وجهه، وأشباه ذلك.

وفيمن يقصده بحاجته فيقول: «يا شيخ فلان ببركتك»، فيقول: «قضيت حاجتي ببركة الله وبركة الشيخ».

وفيمن يعمل السماع ويجيء إلىٰ القبر فيكشف ويحط وجهه بين يدي شيخه علىٰ الأرض ساجدًا نحوه.

وفيمن قال: «إن ثَمَّ قطبًا غوثًا فردًا جامعًا في الوجود».

أفتونا مأجورين، وابسطوا القول في ذلك».

﴿ الشَّرح ﴾

هذه هي الأسئلة التي وجهت إلىٰ **المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ، وهي سبعة أسئلة كما سمَّاها أحد تلاميذه «**اللمعة في الأجوبة السبعة**»، واللمعة هي الشيء البرَّاق اللامع، وهذا الاسم للتشويق؛ حتىٰ إذا سمعه المرء اشتاق لما تضمنه، وحثَّ نفسه علىٰ الاطلاع عليه.

○ قوله: «**ما تقول السادة العلماء**»لا ريب أن العلماء هم سادة الناس وأشرافهم، وهم ورثة الأنبياء، وقد استشهدهم الله تعالىٰ علىٰ أجلِّ مشهود به، وهو الشهادة لله تعالىٰ بالوحدانية، وقرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، فقال تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عِمرَان: ١٨].

والمراد بـ «العلماء» عند الإطلاق علماء الشريعة، وهم العلماء بالله وأسمائه وصفاته، فإذا جاءت النصوص في مدحهم والثناء عليهم فالمراد بهم العلماء بالله وأمره وشرعه، وأما إذا أريد علمًا أو عالمًا آخر فلا بُدَّ أن يقيد فيقال: «علم الفلك» و«علم الطب»، أو «عالم الهندسة» و«عالم الفضاء»، ونحو ذلك، وقد عكست القضية عند بعض الناس فصاروا يطلقون علىٰ علماء الطبيعة والفضاء «علماء» بلا قيد، وهذا خطأ.

ويتنوع العلم الذي وردت النصوص بفضله إلىٰ ثلاثة أنواع:

الأول: العلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله.

الثاني: العلم بحقِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي مِنْ أجله خلق الثقلين الجنِّ والإنس، وهو عبادته وتوحيده.

الثالث: العلم بجزاء المؤمنين والكافرين يوم القيامة.

وهذه الأقسام الثلاثة ليس لها رابع، كما **قال العلَّامة ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ:

والعلم أقسام ثلاث ما لها ... من رابع والحق ذو تبيان
علم بأوصاف الإله وفعله ... وكذلك الأسماء للرحمن
والأمر والنهي الذي هو دينه ... وجزاؤه يوم المعاد الثاني
والكل في القرآن والسنن التي ... جاءت عن المبعوث بالفرقان[1]

وإذا جاءت النصوص في مدح العلماء والثناء عليهم فالمراد بهم العلماء الذين يعملون بعلمهم، أما إذا انحرف الإنسان فلم يعمل بعلمه فقد صار مغضوبًا عليه **كاليهود**؛ معهم علم ولكنهم لم يعملوا به فغضب الله عليهم، وصاروا يسمون «الأمة الغضبية»، كما أنَّ مَنْ يتعبَّد الله بغير علم فهو ضالٌّ ومنحرف مشابه **للنصارىٰ**، وقد قسَّمَ الله تعالىٰ الناس في سورة «الفاتحة» ـ التي هي أعظم سورة[2] ـ إلىٰ ثلاثة أقسام:

الأول: **المنْعَم عليهم**، وهم الذين جمعوا بين العلم والعمل، وهم الرُّسُل وأتباعهم إلىٰ يوم القيامة، فيتعلم الواحد منهم ويتبصر في شريعة الله ثم يعمل.

والثاني: **المغضوب عليهم**، وهم الذين علموا ولم يعملوا بعلمهم، فانحرفوا بعد ما علموا فصاروا غاوين.

والثالث: **الضالون**، وهم الذين يعبدون الله علىٰ جهل وضلال، فلا علم عندهم ولا عمل صحيح.

---

(١) «نونية ابن القيم» (ص ٢٦٦).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب «ما جاء في فاتحة الكتاب»، رقم (٤٤٧٤) من حديث أبي سعيد بن المعلىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومِنْ رحمة الله تعالىٰ بعباده المؤمنين أن أمرهم النبي ﷺ أن يدعو اللهَ بهذا الدعاء العظيم، بأن يهديهم الصراط المستقيم صراطَ **المنْعَم عليهم**، وأن يجنبهم طريق **المغضوب عليهم** وطريق **الضالين** في كلِّ ركعة من ركعات الصلاة في اليوم والليلة سبع عشرة مرة في الفرائض، فضلًا عن النوافل(١)، فهم يقرؤون في كلِّ ركعة ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفَاتِحَة: ٦-٧].

والمنْعَم عليهم أيضًا أربعة أصناف كما ذكرهم الله تعالىٰ في سورة «النساء»، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ۝٦٩﴾ [النِّسَاء: ٦٩].

وقوله: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: اهدنا صراطًا موصوفًا بأنه غير طريق **المغضوب عليهم**، وهم الذين يعلمون ولا يعملون.

وقوله: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ أي: اهدنا صراطًا موصوفًا بأنه غير طريق **الضالين**، وهم الذين ليس عندهم علم فهم يعبدون الله علىٰ جهل وضلال ويتخبطون في الظلمات.

ولهذا، فإن حاجة الإنسان إلىٰ هذا الدعاء أعظم مِنْ حاجته إلىٰ الطعام والشراب، بل أعظم مِنْ حاجته إلىٰ النَّفَس الذي يتردد بين جنبيه؛ لأن الإنسان إذا فقد الطعام والشراب أو النَّفَس مات،

---

(١) أخرج البخاري، كتاب الآذان، باب «وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها في الحضر والسفر»، رقم (٧٥٦)، ومسلم، كتاب الصلاة، رقم (٣٩٤) عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ**».

والموت لا بُدَّ منه إن عاجلًا أو آجلًا، ولا يضر الإنسان إذا مات وهو مستقيم علىٰ طاعة الله، لكن إذا فقد الهداية ماتت روحه وقلبه، وصار إلىٰ النار والعياذ بالله.

وأما **العلوم الأخرىٰ** كالزراعة والصيدلة والطب والفلك فهذه علوم دنيوية يحتاجها الناس في مصالح دنياهم، وإذا تعلمها المسلم وحسنت نيته وقصد بذلك أن ينفع المسلمين فهو مأجور، وإن تعلمها من أجل كسب المعيشة فحسب فلا بأس، بخلاف العلم الشرعي فلا يجوز أن يتعلمه لأجل الدنيا أصالةً؛ لأنه عبادة.

يقول السائل **لشيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**ما تقول السادة العلماء أئمة الدين وعلماء المسلمين** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ **أجمعين**»، **وشيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ هؤلاء السادة فقد ساد غيره بالعلم وهو من العلماء وأئمة الدين، فهو إمام بحقٍّ، وهو جدير بأن يبيِّن هذه الأمور ويكشف غامضها.

السؤال الأول:

«**مَنْ يزور القبور ويستنجد بالمقبور في مرض به أو بفرسه أو بعيره، يطلب إزالة المرض الذي بهم**».

هذا السؤال في حكم مَنْ يزور القبور ويستنجد بالمقبور لمرض به أو بفرسه أو بعيره، فهو يستنجد بالمقبورين ويطلب منهم إزالة المرض الذي بهم، ويأتي في كلام **المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ أن هذا شرك أكبر مخرج من المِلَّةِ؛ لأن الذي يزيل المرض هو الله، فهو الذي أنزل الداء وهو الذي يزيله، وأما صاحب القبر فهو مسكين مشغول بنفسه، لا يملك لها نفعًا ولا ضرًا، فكيف يملك ذلك لغيره وقد بَليت عظامه وأكل الدود لحمه وعصبه، وليس ثَمَّ سوىٰ التراب،

فكيف يستنجد به ويسأله؟!، كيف يستنجد عاقل بتراب وينسىٰ ربَّ الأرباب؟!، أين العقول؟!، ولكن المشرك ألغىٰ عقله.

وزيارة القبر علىٰ أنواع ثلاثة:

النوع الأول: **زيارة شرعية، وهي أن تزور القبر وتسلِّم عليه وتدعو له إذا كان مؤمنًا، لأنه تشرع زيارة قبر الكافر أيضًا، وفي زيارة قبر المؤمن فائدتان، الأولىٰ**: تذكر الموت ورقة القلب، فهي فائدة للحي، **والثانية**: نفع الميت والدعاء له، فهي فائدة للميت، أما في زيارة قبر الكافر ففيه فائدة واحدة، وهي تذكر الموت، ولكن لا يدعىٰ له؛ لأنه كافر، وقد ثبت في «صحيح مسلم»[1] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: زَارَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَىٰ وَأَبْكَىٰ مَنْ حَوْلَهُ، فَقَالَ: «**اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ**».

النوع الثاني: **زيارة بدعية**، وهي أن يزور الميت ثم يجلس لقراءة القرآن، أو ليصلي ركعتين لله عنده، أو ليتصدق عنده، أو يتوسل بوسائل بدعية كأن يقول: «أسألك بحرمة فلان» أو «بجاه فلان» أو «بحق فلان».

النوع الثالث: **زيارة شركية**، وهي أن يزور الميت ثم يدعوه مِنْ دون الله، كأن يقول: «يا فلان، أغثني» أو «فرج كربتي» أو «رد غائبي»، أو يزوره فيتقرب إليه بأن يذبح له بعيرًا أو بقرة أو غيرهما، أو يزوره فيطوف بقبره تقربًا إليه أو يصلي أو يسجد له، وهذا من الشِّرك.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، رقم (٩٧٦).

○ قوله: «ويقول: «يا سيدي»» فهو يخاطب بذلك صاحب القبر «أنا في جيرتك» أي: جوارك، يعني في حمايتك وحفظك، «أنا في حسْبك» أي: أنا في كفايتك، أو يقول: «فلانٌ ظلمني» أي: خلصني من ظلمه وأنصفني وخذ لي حقي منه، والميت لا يستطيع أن ينفع نفسه حتىٰ ينفع غيره؛ فهو مشغول بنفسه محتاج إليك ولست بحاجة إليه، «فلانٌ قصد أذيتي» يخاطب بذلك ميتًا بليت عظامه وأصبح ترابًا، نسأل الله السَّلامة والعافية، «ويقول: «إن المقبور يكون واسطة بينه وبين الله تعالىٰ»» وهذا هو الشِّرك بعينه؛ فإن الله تعالىٰ لم يجعل واسطة بينه وبين خلقه إلا الرسل كما سيأتي.

۞ السؤال الثاني:

«وفيمن ينذر للمساجد» أي: لبنائها وإعمارها «والزوايا» وتكون **للصوفية** «والمشايخ» أي: شيوخ **الصوفية** وغيرهم «حيهم وميتهم بالدراهم والإبل والغنم والشمع والزيت وغير ذلك، يقول: «إن سَلِمَ ولدي»» أي: مِنْ الهلاك أو المصيبة التي حصلت له أو مِنْ المرض «فللشيخ عليَّ كذا وكذا»» أي: من الدارهم أو الإبل أو الغنم أو الشمع أو الزيت «وأمثال ذلك»، وهذا شرك؛ فالنذر عبادة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البَقَرَة: ٢٧٠]، والقاعدة في هذا أن كلَّ عبادة فهي حق لله تعالىٰ، وصرفها لغيره شرك.

۞ السؤال الثالث:

«وفيمن يستغيث بشيخه إذا أصابته نائبة أو سمع حسًّا خلفه أزعجه استغاث بشيخه يطلب تثبيت قلبه من ذلك الواقع». هذا قد وقع في الشرك، والذي يثبت القلوب هو الله وفي حديث أنس رضي الله عنه

قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ**»(١) جعل شيخه ندا لله، والله تعالىٰ يقول: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البَقَرَة: ٢٢].

السؤال الرابع:

«وفيمن يجيء إلىٰ شيخه ويستلم القبر، ويمرغ وجهه عليه، ويمسح القبر بيديه، ويمسح بهما وجهه، وأشباه ذلك» فهو يقصد بذلك البركة، فإن كان يعتقد أن هذا الميت الذي يمرغ وجهه علىٰ قبره ويمسح قبره بيديه يأتي بالبركة فهذا شرك أكبر، وإن كان يعتقد أن البركة من الله وأنه جعل فيه البركة فهذا شرك أصغر، كما لو اعتقد أن الله هو الشافي وعلَّق التمائم يعتقد أنها سبب فهذا شرك أصغر، أما إذا اعتقد أن التمائم نفسها هي التي تشفي فهذا شرك أكبر.

السؤال الخامس:

«وفيمن يقصده بحاجته فيقول: «يا شيخ فلان ببركتك»، فيقول: «قضيت حاجتي ببركة الله وبركة الشيخ»» وقد تقدَّم فيه التفصيل، فإذا كان يعتقد أن البركة من الله ولكن الله جعل فيه البركة فهذا شرك أصغر، وإن كان يعتقد أن البركة مِنْ فلان ذاته فهذا شرك أكبر، وكذلك إن كان يعتقد أن الشيخ شريك لله في إيجاد البركة، أما إن كان يعتقد أنه سبب فيها فهذا شرك أصغر.

السؤال السادس:

«وفيمن يعمل السماع» وهو سماع الصوفية، وهو معروف عنهم، فهم يعبدون الله بالرقص والغناء ويسمونه «السماع»، **«ويجيء**

(١) أخرجه الترمذي - أبواب القدر عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن (٢١٤٠).

إلىٰ القبر» بعد السماع **«فيكشف ويحط وجهه بين يدي شيخه»** حيًّا كان أو ميتًا **«علىٰ الأرض ساجدًا نحوه»** تقربًا إليه، وهذا شرك أكبر؛ لأنه صَرَفَ السجود لغير الله.

❁ السؤال السابع:

«وفيمن قال: «إن ثَمَّ قطبًا غوثًا فردًا جامعًا في الوجود»» يعتقد الصوفية أن هناك أقطاب أربعة يتصرفون في الكون ويديرونه، إذًا ما بقي لله؟!، وهذا شرك أكبر.

وهو شرك في الربوبية، وهو أعظم مِنْ شرك كفار قريش؛ فهم لم يصلوا إلىٰ هذا، بل قد حكىٰ الله تعالىٰ عنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [الزّخرُف: ٨٧].

○ قوله: **«أفتونا»** أي: أعطونا فتوىٰ تبيِّن حكم هذه الأمور **«مأجورين»** أي: نسأل الله أن يأجركم ويثيبكم عليها **«وابسطوا القول في ذلك»** والبسط هو التفصيل والتوضيح لمعاني هذه الأمور وأدلتها وبيان حكمها.

❁ ❁ ❁

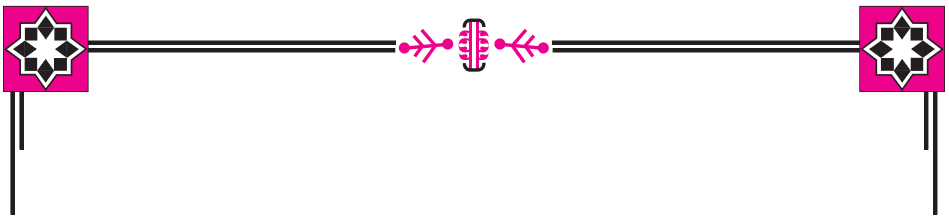

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ وجمعنا به في جنات النعيم:

«الجواب:

الحمد لله رب العالمين.

الدِّين الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه هو عبادة الله وحده لا شريك له، واستعانته، والتوكل عليه، ودعاؤه لجلب المنافع ودفع المضار كما قال الله تعالىٰ: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾ [الزُّمَر: ١-٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ [الجنّ: ١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ﴾ [الأعراف: ٢٩]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝٥٦ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۝٥٧﴾ [الإسرَاء: ٥٦-٥٧]، قالت طائفة من السلف: «كان أقوام يدعون المسيح وعزيرًا والملائكة، قال الله تعالىٰ: هؤلاء الذين تدعونهم عبادي كما أنتم عبادي، ويرجون رحمتي كما ترجون رحمتي، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي، ويتقربون إليَّ كما

تتقربون إليَّ، فإذا كان هذا حال من يدعو الأنبياء والملائكة فكيف بمن دونهم ؟!»».

﴿ الشَّرح ﴾

بدأ **المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ الجواب بقوله «**الحمد لله رب العالمين**»، وكثيرًا ما يبتدئ أجوبته رَحِمَهُ اللَّهُ بها.

والألف واللام في «**الحمد**» للاستغراق، يعني : جميع أنواع المحامد مُستغرقة لله ملكًا واستحقاقًا.

والحمد هو الثناء علىٰ المحمود مع حُبِّهِ وإجلاله وتعظيمه، وهو أبلغ مِنْ **المدح**؛ **فالمدح** هو أن تثني علىٰ الممدوح فتذكر صفاته ولا يلزم من ذلك المحبة، أما **الحمد** فهو الثناء عليه مع محبة وتعظيم(١)، ولهذا افتتح الله تعالىٰ كتابه الكريم بـ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفَاتِحَة: ٢]، وافتتح بها كثيرًا من السور، قال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعَام: ١]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١﴾ [الكهف: ١]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١﴾ [سَبَإ: ١]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فَاطِر: ١].

و«**لله**» اللام للملك، و«الله» عَلَمٌ علىٰ ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يُطلق علىٰ غيره.

وأصله الإله، أُسْقِطَتِ الهمزة التي هي فاء الاسم فالتقت اللام التي هي عين الاسم واللام الزائدة التي دخلت مع الألف الزائدة وهي ساكنة فأُدْغِمَتْ في الأخرىٰ التي هي عين الاسم فصارتا في

(١) انظر: «بدائع الفوائد» لابن القيم (٢/ ٣٢٥).

اللفظ لامًا واحدة مُشدَّدة[١].

ومعنىٰ «الله»: المألوه، كما **قال ابن عباس** رضي الله عنه: «الله ذو الألوهية والمعبودية علىٰ خلقه أجمعين»[٢]، فالله هو المألوه الذي تألهه القلوب محبة وإجلالًا وتعظيمًا وخوفًا ورجاءً.

○ قوله: «**رب العالمين**»، العالمين جمع عَالَم، وكلُّ موجود سوىٰ الله تعالىٰ يقال لجملته «عَالَم»، ولأجزائه مِنْ الإنس والجنِّ وغير ذلك «عَالَم» وبحسب ذلك يجمع علىٰ «العالمين»[٣]، والله تعالىٰ هو ربُّهَا ومربيها وخالقها والمتصرِّف فيها.

○ قوله: «**الدِّين**» مصدر دَانَ يَدين، وهو ما يدين به الإنسان ربه ويلتزمه ويتعبد به لله علىٰ وجه الخضوع والانقياد والطاعة والامتثال «**الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه هو عبادة الله وحده لا شريك له**»، والعبادة هي التذلل والخضوع والانقياد لله تعالىٰ بفعل ما يحبه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة[٤]، فلا تشرك مع الله فيها غيره، فإن تقربت إلىٰ الله وإلىٰ غيره وقعت في الشِّرك، ولهذا قال: «**عبادة الله وحده لا شريك له**» أي: لا تجعل مع الله شريكًا في العبادة؛ فالعبادة حقُّ الله، فمن صرفها لغيره وقع في الشِّرك.

والمشرك وقع في أعظم أنواع الظلم وأظلمه؛ فإنَّ الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه[٥]، وقد وضع المشرك العبادة في غير

---

(١) «تفسير الطبري» (١/ ٥٥).
(٢) أخرجه الطبري في «التفسير» (١/ ٥٤).
(٣) «المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ٦٧).
(٤) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» لابن تيمية (١٠/ ١٤٩).
(٥) انظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (١/ ٤٨٤).

موضعها فصرفها لغير الله، ولهذا قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣]، وأي ظلم أشدُّ وأعظم مِنْ أنَّ الله خلقك لعبادته ثم أنت تعبد غيره معه؟!، ولله المثل الأعلىٰ لو أن إنسانًا له عبد اشتراه مِنْ حُرِّ ماله بالآلاف، وقال له: «أنت عبدي، اعمل وجئني بالكسب»، فجعل العبد يعمل ويعطي الكسب لغير سيده فهذا عبد سوء، فكذلك المشرك الذي خلقه الله لعبادته فَعَبَدَ غيره، قال تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الرُّوم: ٢٨].

○ قوله: «**واستعانته**» يعني: تستعين بالله فتطلب منه العون كما قال تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥]، فإذا طلبت العون من غير الله فيما لا يقدر عليه إلَّا هو سبحانه فقد أشركت، وأما إذا طلبت العون مِنْ حيٍّ حاضرٍ قادرٍ علىٰ إعانتك فلا بأس، فإذا قلت: «يا فلان، أعني علىٰ إصلاح سيارتي، أو مزرعتي، أو قضاء ديني» فلا بأس، وأما أن تطلب العون مِنْ ميت أو مِنْ غائب أو حيٍّ حاضر فيما لا يقدر عليه إلَّا الله فهذا شرك.

○ قوله: «**والتوكل عليه**» التوكل هو الاعتماد علىٰ الله وتفويض الأمر إليه سبحانه، فمن توكل علىٰ غير الله فيما لا يقدر عليه إلَّا الله فقد وقع في الشِّرك الأكبر، ومَنْ توكل علىٰ غير الله في الأمور التي يقدر عليها البشر فهو مشرك شركًا أصغرَ، فالتوكل لا يكون إلا علىٰ الله، بخلاف الوكالة فإنها تفويض من شخر لآخر؛ لما في ذلك مِنْ ميل القلب وتعلقه بغير الله.

○ قوله: «**ودعاؤه لجلب المنافع ودفع المضار**» فلا يدعىٰ لجلب المنافع للعبد في دنياه وأخراه ودفع المضار فيهما عنه إلَّا الله.

ثم استشهد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بالآيات فقال: «**كما قال الله تعالىٰ**: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾﴾» وهذا موضع الشاهد، والإخلاص أن تخصَّ الله بالعبادة وتفرده بها، ولهذا قال سبحانه: «﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزُّمَر: ١- ٣]» والدِّين هنا العبادة، أي: ألا لله العبادة الخالصة.

وبَيَّنَ تعالىٰ شبهة المشركين الذين يعبدون غير الله ويصرفون العبادة لغيره فقال تعالىٰ: «﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾»، فشبهة المشركين أنهم يعبدون غير الله ويزعمون أنهم يقربونهم إليه ويشفعون لهم عنده، وفي الآية حذف الخبر، وتقديره: «والذين اتخذوا من دون الله أولياء قالوا ما نعبدهم إلَّا ليقربونا إلىٰ الله»[1]، «﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾»، ثم حكم تعالىٰ بكذبهم وكفرهم فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزُّمَر: ٣] فهم كذبة في قولهم «إنهم يقربونهم إلىٰ الله»، وكفرة بعملهم هذا.

○ قوله: «**وقال تعالىٰ**: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجنّ: ١٨]»، و﴿أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ نكرة في سياق النهي فتعمُّ أيَّ أحدٍ، مَلَكًا كان أو نبيًا، أو جنيًّا، أو قبرًا، أو حجرًا، أو شجرًا.

○ قوله: «**وقال تعالىٰ**: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ﴾» أي: بالعدل، «﴿وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾» أي: عند كلِّ صلاة «﴿وَٱدْعُوهُ﴾» الضمير يعود إلىٰ الله «﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩]».

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١٥/ ٢٣٣).

○ قوله: «وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾ [الإسراء: ٥٦]»، و﴿ٱدْعُواْ﴾ خطاب للمشركين، أي: ادعوا الذين زعمتم مِنْ دون الله، فهل يملكون كشف الضر إذا نزل بكم؟، فالجواب: لا، أو تحويلًا ؟، يعني: نقله مِنْ حال إلىٰ حال، الجواب: لا؛ فالذي يملك ذلك كله هو الله، ثم قال تعالىٰ: «﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾» أي: هؤلاء الذين تدعونهم وتعبدونهم مِنْ دون الله «﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾» وهي القُرْب إلىٰ الله «﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾» فكيف تعبدون مَنْ هذا حاله ؟!، «﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: ٥٧]».

○ قوله: «**قالت طائفة من السلف «كان أقوام يدعون المسيح وعزيرًا والملائكة، قال الله تعالىٰ: هؤلاء الذين تدعونهم عبادي كما أنتم عبادي، ويرجون رحمتي كما ترجون رحمتي، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي، ويتقربون إليَّ كما تتقربون إليَّ، فإذا كان هذا حال من يدعو الأنبياء والملائكة فكيف بمن دونهم؟!**[1]»» يعني: إذا كان حال مَنْ يُدْعَىٰ مِنْ دون الله من الأنبياء والملائكة والصالحين أنهم يطلبون القُرْب إلىٰ الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه، فكيف بمن دعا كافرًا أو فاسقًا أو شجرًا أو حجرًا ؟ !، فإذا كان الأنبياء والملائكة والصالحون لا ينفعونهم، فغيرهم مِنْ باب أولىٰ .

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ١٠٤).

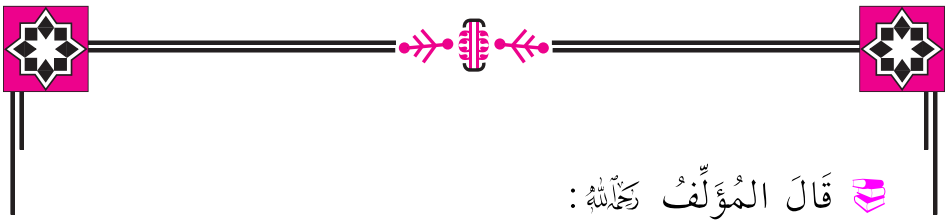

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلًا ١٠٢﴾ [الكهف: ١٠٢]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ﴾ [سبإ: ٢٢-٢٣]، فبيَّنَ سبحانه أن مَنْ دُعِيَ مِنْ دون الله مِنْ جميع المخلوقات من الملائكة والبشر وغيرهم أنهم لا يملكون مثال ذرة في ملكه، وأنه ليس له شريك في ملكه، بل هو سبحانه له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير، وأنه ليس له عون يعاونه كما يكون للملك أعوان وظهراء، وأن الشفعاء عنده لا يشفعون إلَّا لمن ارتضىٰ، فنفىٰ بذلك وجوه الشِّرك.

وذلك أن مَنْ يدعىٰ مِنْ دونه إما أن يكون مالكًا وإما ألَّا يكون مالكًا، وإذا لم يكن مالكًا فإما أن يكون شريكًا وإما ألَّا يكون شريكًا، وإذا لم يكن شريكًا فإما أن يكون معاونًا وإما أن يكون سائلًا طالبًا، وهو ﷻ أعلم.

فالأقسام الأُوَل الثلاثةُ ـ وهي: الملك والشركة والمعاونة ـ منتفية، وأما الرابع فلا يكون إلَّا مِنْ بعد إذنه، وكما قال تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وكما قال تعالىٰ: ﴿۞وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ [النجم: ٢٦]، وكما قال تعالىٰ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ٤٣ قُل

لِلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٤٣-٤٤]، **وقال تعالىٰ**: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾ [السجدة: ٤]، **وقال**: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنعام: ٥١]، **وقال تعالىٰ**: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۚ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران: ٧٩-٨٠]، **فبيَّن ﷻ أن من اتخذ الملائكة والنبيين أربابًا كان كافرًا، فكيف من اتخذ مَنْ دونهم من المشايخ وغيرهم أربابًا ؟!»**.

الشَّرح

لا يزال **المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ يبيِّن أن مَنْ دعا غير الله فهو مشرك، وإذا مات علىٰ ذلك فهو من أهل النار المخلدين فيها.

○ قوله: «**وقال تعالىٰ**: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾﴾ [الكهف: ١٠٢]» يعني: أيظن هؤلاء الكفار أن يتخذوا عبادي الذين عبدوهم مِنْ دوني أولياء ؟!، يقول: كلا، بل هم لهم أعداء، وحكم عليهم بالخلود في النار فقال: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾﴾ يعني: مستقرًا ومآلًا ـ نسأل الله السَّلامة والعافية.

○ قوله: «**وقال تعالىٰ**: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣]» وهي الآية التي قيل: «إنها تقطع عروق شجرة الشِّرك

من القلب»[(١)]؛ فوجوه النفع من الغير محصورة في واحد من الأمور الأربعة المذكورة في الآية:

الأول: أن يكون المدعو يملك مطلوب الداعي ملكًا انفراديًا، وهو المشار إليه بقوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [سَبَإ: ٢٢].

الثاني: ألَّا يكون المدعو مالكًا مستقلًا، ولكنه شريك للمالك، فهو يملك علىٰ وجه الشراكة لا الاستقلال، وهو المشار إليه بقول: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ [سَبَإ: ٢٢].

الثالث: ألَّا يكون المدعو مالكًا ولا شريكًا، ولكنه معين للمالك ومساعد له، وهو المشار إليه بقوله: ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سَبَإ: ٢٢].

الرابع: ألَّا يكون المدعو أحدَ الثلاثة المتقدمة، ولكنه شفيع، وهو المشار إليه بقوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سَبَإ: ٢٣].

والشفاعة المثبتة لها شرطان:

الأول: إذن الله للشافع أن يشفع.

الثاني: رضىٰ الله عن المشفوع له.

وليس ثَمَّ قسم خامس، فبقي مَنْ لا ينفع ولا يضر ولا يقدِّم ولا يؤخِّر، وهذا وصف لمعبودات الكافرين، فتحدىٰ الله تعالىٰ الذين يعبدون غيره فقال: هؤلاء الذين تعبدونهم من دوني هل ينفعونكم بأي وجه من وجوه النفع؟!.

---

(١) انظر: «كتاب التوحيد» لابن عبد الوهاب (ص ٤٩).

○ قوله: «فبيَّنَ سبحانه أن مَنْ دُعِيَ مِنْ دون الله مِنْ جميع المخلوقات من الملائكة والبشر وغيرهم أنهم لا يملكون مثال ذرة في ملكه، وأنه ليس له شريك في ملكه، بل هو سبحانه له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير، وأنه ليس له عون يعاونه كما يكون للملك أعوان وظهراء، وأن الشفعاء عنده لا يشفعون إلَّا لمن ارتضىٰ، فنفىٰ بذلك وجوه الشِّرك» فنفت الآية الكريمة عن معبودات المشركين جميع وجوه النفع المأمولة منهم مِنْ قِبَلِ مَنْ يعبدونهم نفيًا مرتبًا منتقلًا من الأعلىٰ إلىٰ الأدنىٰ، فنفت نوعي الملك استقلالًا ثم شراكة، ثم نفت الإعانة، ثم الشفاعة.

○ قوله: «وذلك أن مَنْ يدعىٰ مِنْ دونه إما أن يكون مالكًا» وهذا الأمر الأول، «وإما ألَّا يكون مالكًا، وإذا لم يكن مالكًا فإما أن يكون شريكًا» وهذا الأمر الثاني، «وإما ألَّا يكون شريكًا، وإذا لم يكن شريكًا فإما أن يكون معاونًا» وهذا الأمر الثالث، «وإما أن يكون سائلًا طالبًا» وهذا الأمر الرابع، «وهو ﷻ أعلم».

○ قوله: «فالأقسام الأُوَل الثلاثةُ ـ وهي: الملك والشركة والمعاونة ـ منتفية» نفاها الله تعالىٰ بقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبإ: ٢٢]، بقي **الأمر الرابع** وهو الشفاعة.

ذكر **المؤلف** رحمه الله الأدلة علىٰ أن الشفاعة لا تكون إلا بإذن الله فقال: «وأما الرابع فلا يكون إلَّا مِنْ بعد إذنه، وكما قال تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]» فلا يستطيع أحد أن يشفع عند الله إلَّا بإذنه؛ لعظمته ﷻ، حتىٰ نبينا محمد ﷺ الذي هو

أعظم الناس جاهًا ومنزلةً عند الله وأحبهم إليه لا يشفع إلَّا بإذنه ولمن رضي الله عنه بأن حقق التوحيد.

والناس يصيبهم كرب عظيم في موقف القيامة، وتدنو الشمس من الرؤوس، وتزداد حرارتها، ويموج الناس بعضهم في بعض فتفزع الخلائق إلىٰ الأنبياء يطلبون الشفاعة منهم، ففي «الصحيحين»[(١)] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بِلَحْمٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ - وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ - فَنَهَشَ مِنْهَا نَهْشَةً، ثُمَّ قَالَ: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟، يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: «أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ؟»، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: «عَلَيْكُمْ بِآدَمَ»، فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُونَ لَهُ: «أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟»، فَيَقُولُ آدَمُ: «إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ نُوحٍ»، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: «يَا نُوحُ، إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟»، فَيَقُولُ: «إِنَّ رَبِّي ﷻ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ**

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب «﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾ [الإسراء: ٣]»، رقم (٤٧١٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٩٤).

قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَىٰ قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ»، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: «يَا إِبْرَاهِيمُ، أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟»، فَيَقُولُ لَهُمْ: «إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ مُوسَىٰ»، فَيَأْتُونَ مُوسَىٰ فَيَقُولُونَ: «يَا مُوسَىٰ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَىٰ النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟»، فَيَقُولُ: «إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ»، فَيَأْتُونَ عِيسَىٰ فَيَقُولُونَ: «يَا عِيسَىٰ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟»، فَيَقُولُ عِيسَىٰ: «إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ـ وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا ـ نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ مُحَمَّدٍ»، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ: «يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَخَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟»، فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ﷻ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَىٰ أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: «يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ»»، فلا يشفع ﷺ ابتداءً، بل يستأذن ويسجد تحت العرش لله ﷻ فيلهمه الله محامد عظيمة فيدعه الله ما شاء أن يدعه، ثم يأتي الإذن من ربِّ العزة

والجلال، فيقول: «**يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**» فيرفع رأسه عليه الصَّلاة والسَّلام، ويسأل ربَّهُ الشفاعة فيشفِّعُهُ.

○ قوله: «**وكما قال تعالىٰ:** ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ [النجم: ٢٦]» فذكر تعالىٰ شرطين للشفاعة المثبتة:

الأول: الإذن من الله تعالىٰ، ودليله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ﴾.

الثاني: الرضا عن المشفوع، ودليله: ﴿وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ [النّجم: ٢٦].

○ قوله: «**وكما قال تعالىٰ:** ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ٤٣ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [الزُّمَر: ٤٣-٤٤]» فالشفاعة كلها له سبحانه، وليس لأحد منها شيء إلَّا أن يكون بإذنه لمن ارتضىٰ.

○ قوله: «**وقال تعالىٰ:** ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٤﴾ [السَّجدَة: ٤]» وهذه الآية مقيدة بالآيات الأخرىٰ، فليس للمشركين ولي ولا شفيع، وأما المؤمن فله الشفاعة بالشرطين السابقين، إذن الله للشافع ورضاه عن المشفوع له.

○ قوله: «**وقال:** ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ٥١﴾ [الأنعام: ٥١]» وإنما تكون الشفاعة بعد إذن الله تعالىٰ.

○ قوله: «**وقال تعالىٰ:** ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن

﴿تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۚ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عِمرَان: ٧٩-٨٠]، **فبيَّنَ ﷻ أن من اتخذ الملائكة والنبيين أربابًا كان كافرًا، فكيف من اتخذ مَنْ دونهم من المشايخ وغيرهم أربابًا؟!**» يكون كافرًا؛ مِنْ باب أولىٰ، وهذا هو الجواب المجمل من المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ.

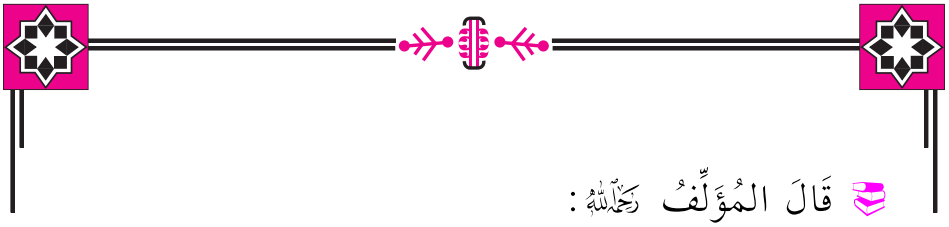

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وتفصيل القول: أن مطلوب العبد إن كان من الأمور التي لا يقدر عليها إلَّا الله تعالىٰ، مثل: أن يطلب شفاء مريضه من الآدميين والبهائم، أو وفاء دينه من غير جهة معينة، أو عافيته أو عافية أهله، وما به من بلاء الدنيا والآخرة، وانتصاره علىٰ عدوه، وهداية قلبه، أو غفران ذنبه، أو دخول الجنة، أو نجاته من النار، أو أن يتعلم القرآن والعلم، أو أن يصلح قلبه ويحسن خلقه ويزكي نفسه، وأمثال ذلك فهذه الأمور كلها لا يجوز أن تطلب إلَّا من الله تعالىٰ، ولا يجوز أن يقول لا لملَك ولا نبي ولا شيخ سواء كان حيًّا أو ميتًا «اغفر ذنبي»، ولا «انصرني علىٰ عدوي»، ولا «اشفِ مريضي»، ولا «عافني وعافي أهلي ودوابي»، وما أشبه ذلك.

ومن سأل ذلك مخلوقًا كائنًا من كان فهو مشرك بربه من جنس المشركين الذين يعبدون الملائكة والأنبياء والتماثيل التي يصورونها علىٰ صورهم، ومن جنس دعاء النصارىٰ للمسيح وأمه، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية [المائدة: ١١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣١﴾ [التوبة: ٣١]، وأما ما يقدر عليه العبد ويجوز أن يطلب منه في بعض الأحوال دون بعض؛ فإن مسألة المخلوق قد تكون جائزة، وقد تكون منهيًا عنها.

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾ [الشَّرح: ٧-٨]، ، وأوصىٰ النبي ﷺ ابن عباس «إذا سألت فسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»، وأوصىٰ النبي ﷺ طائفة من أصحابه ألَّا يسألوا الناس شيئًا فكان أحدهم يسقط سوطه من يده فلا يقول لأحد: «ناولني إياه»، وثبت في «الصحيحين» أنه ﷺ قال: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب، وهم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلىٰ ربهم يتوكلون»، والاسترقاء طلب الرقية، وهو من أنواع الدعاء، ومع هذا فقد ثبت عنه في «الصحيحين» أنه قال: «ما من رجل يدعو لأخيه بظهر الغيب دعوة إلَّا وكَّلَ الله بها ملكًا كلما دعا لأخيه بدعوة قال الملك الموكَّل: «ولك بمثلِ ذلك»»، والله ﷻ أعلم».

الشَّرح

هذا جواب السؤال الأول من الأسئلة السبعة، وهو «مَنْ يزور القبور ويستنجد بالمقبور لمرض به أو فرسه أو بعيره، يطلب إزالة المرض الذي بهم، ويقول: «يا سيدي، أنا في جيرتك، أنا في حسْبك، فلانٌ ظلمني، فلانٌ قصد أذيتي»، ويقول: «إن المقبور يكون واسطة بينه وبين الله تعالىٰ»».

والطلب مِنْ غير الله تعالىٰ فيه تفصيل:

إما أن يكون المطلوب من الأمور التي لا يقدر عليها إلَّا الله، وإما أن يكون من الأمور التي يقدر عليها المخلوق.

فإن كان المطلوب لا يقدر عليه إلَّا الله فطلبه مِنْ غيره شرك، سواء كان المطلوب منه حيًّا أو ميتًا.

ومن ذلك: أن يطلب من مخلوق شفاء مريضه، فيقول:

«يا فلان، اشف مريضي»، أو «عافني»، أو «عاف أهلي»، أو «اهدِ قلبي»، أو «اغفر ذنبي»، كما **يقول بعض الصوفية** : «إن الشيخ يغفر الذنب، ويوصلك بالغفران إلىٰ الجنة» وهذا لا يقدر عليه إلَّا الله كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٥]، والذي يطلب ذلك مِنْ غير الله مشرك شركًا أكبر.

وإن كان المطلوب مما يقدر عليه المخلوق فإما أن يكون حيًّا أو ميتًا، فإن كان ميتًا فلا يجوز طلبه منه بحال؛ لأنه ميت لا يقدر علىٰ شيء، وإن كان حيًّا فيطلب منه في بعض الأحوال ولا يطلب منه في بعضها.

وإن قيل: ما تقولون في طلب المريض الشفاء من الطبيب؟.

فالجواب: أن الطبيب لا يقدر علىٰ شفاء المريض، وإنما هو سبب؛ فالشفاء بيدي الله سبحانه، والواقع شاهد بهذا، فكم مِنْ طبيب لم يكتب الله علىٰ يديه شفاء لأسهل الأدوية، وكم مِنْ شفاء جاء بغير طبيب؟.

وإذا كان هذا حكم سؤال الحي فسؤال الميت من باب أولىٰ؛ فهو شرك.

وإن طلب من المخلوق قضاء دينه فإن كان ميتًا أو غائبًا لا يسمعه أو فقيرًا يعلم فقره وإملاقه فهذا شرك، وكونه شركًا في الميت أو الحي الغائب فظاهر، وأما في الحي الحاضر غير القادر فلأنه ما طلب منه ما لا يقدر عليه إلَّا لأنه يعتقد أن فيه تأثيرًا، وأن عنده تصرفًا بحيث يستطيع أن يقضي دينه.

وإن قيل: ذكرتم أن مخاطبة الميت ونداءه غير جائز، فما حكم قول بعضهم «فداك أبي وأمي يا رسول الله»؟.

فالجواب: أن هذا ليس خطابًا ولا دعاء له ولا طلبًا منه، وإنما هو إخبار بأنه يُفَدّيه بأبيه وأمه مستحضرًا ومصورًا في نفسه قربه منه؛ لشدة المحبة والتضحية، ومثله قول المصلي في التشهد «**السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته**»(١)، ومثله ما يرد كثيرًا في شعر الشعراء مِنْ تصور مخاطبة الغائب أو الميت يستحث بذلك الأحياء للجدِّ والعزيمة كما في قول الشاعر المعاصر:

أيا عمر الفاروق هل لك عودة

ولم يطلب منه شيئًا حال موته، بل يتصوره حيًّا كما كان صلبًا مجاهدًا يقود الأمة ويعلي شأنها، فإذا نادىٰ الشاعر أو المتكلم ميتًا مصوِّرًا أنه حي يفعل ما كان يفعله أيام حياته ليحث الأحياء علىٰ السير علىٰ ما كان عليه فهذا سائغ لا شيء فيه، وهذا بخلاف مَنْ يناديه ويطلب منه وهو ميت أن ينقذ الأمة ويغيثها، فيقول: «يا رسول الله، أغثنا» أو «يا رسول الله، فرج كربتنا»، ونحو ذلك فهذا شرك، فالنداء في لغة العرب قد يخرج عن ظاهره إلىٰ مناح أخرىٰ معروفة في علم البلاغة.

ومما ينبغي التنبيه عليه:

ما يعتاده البعض من قولهم «توكلت علىٰ الله ثم علىٰ فلان» فهذا وإن عُطِفَ بـ «ثمَّ» فلا يجوز ولو كان الشخص قادرًا علىٰ تحقيق هذا المطلوب في الظاهر؛ لأن التوكل عمل قلبي فيه ميل القلب إلىٰ المتوكل عليه.

وقد ذكر **العلماء** أن التوكل نوعان:

الأول: **شرك أكبر**، وهو أن يتوكل علىٰ غير الله فيما لا يقدر

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب «التشهد في الآخرة»، رقم (٨٣١)، ومسلم، كتاب الصلاة، رقم (٤٠٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

عليه إلَّا هو ﷻ، كالذين يتوكلون علىٰ الأموات في حصول مطالبهم.

والثاني: شرك أصغر، وهو أن يتوكل علىٰ المخلوق فيما يقدر عليه كأن يتوكل علىٰ أمير أو سلطان لجلب منفعة أو دفع مضرة؛ لما فيه من اعتماد القلب وميله إلىٰ غير الله.

وأما الرجاء فلا بأس أن ترجو مخلوقًا فتقول بلسانك: «أرجوك يا فلان أن تقضي حاجتي» أو «أرجوك أن تساعدني»، ويقوم بقلبك رجاء حصول مطلوبك كما يقوم مع أي سبب مشروع فهذا لا بأس به؛ فليس في الرجاء من الاعتماد وميل القلب كما في التوكل، وهذا وجه الفرق بينهما.

○ قوله: «**وتفصيل القول: أن مطلوب العبد إن كان من الأمور التي لا يقدر عليها إلَّا الله تعالىٰ**» فلا تطلب إلَّا منه ﷻ، «**مثل: أن يطلب شفاء مريضه من الآدميين والبهائم، أو وفاء دينه من غير جهة معينة**» أما إذا كان حيًّا حاضرًا يستطيع وفاء دينه فلا بأس، «**أو عافيته أو عافية أهله، وما به من بلاء الدنيا والآخرة**» فكلُّ هذا لا يطلب إلَّا من الله، «**وانتصاره علىٰ عدوه**» أما إذا كان يستطيع كأن يكون عنده جيش، وقال له: «انصرني علىٰ عدوي» فلا بأس، «**وهداية قلبه، أو غفران ذنبه، أو دخول الجنة، أو نجاته من النار، أو أن يتعلم القرآن والعلم، أو أن يصلح قلبه ويحسن خلقه ويزكي نفسه، وأمثال ذلك فهذه الأمور كلها لا يجوز أن تطلب إلَّا من الله تعالىٰ، ولا يجوز أن يقول لا لملَك ولا نبي ولا شيخ سواء كان حيًّا أو ميتًا «اغفر ذنبي»**»؛ لأن هذا لا يقدر عليه إلا الله «**ولا «انصرني علىٰ عدوي»**»؛ فالنصر بيد الله، بخلاف لو استطاع أن يمده بالسلاح

فلا بأس، «ولا «اشفِ مريضي»، ولا «عافني وعافي أهلي ودوابي»، وما أشبه ذلك».

○ قوله: «ومن سأل ذلك مخلوقًا كائنًا من كان فهو مشرك بربه من جنس المشركين الذين يعبدون الملائكة والأنبياء والتماثيل التي يصورونها علىٰ صورهم، ومن جنس دعاء النصارىٰ للمسيح وأمه» يعني: مَنْ فعل ذلك فهو من جنس **النصارىٰ** «وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية [المائدة: ١١٦]» فأنكر الله عليهم ذلك، **وفي هذا**: تمقيت لهم أن عبدوا مِنْ دون الله بشرًا، ولهذا قال عيسىٰ عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧].

○ قوله: «وقال تعالىٰ» منكرًا علىٰ **النصارىٰ واليهود**: «﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾» والأحبار هم العلماء، **والرهبان** هم العُبَّاد، فجعلوهم أربابًا مِنْ دون الله، «﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١]».

○ قوله: «وأما ما يقدر عليه العبد ويجوز أن يطلب منه في بعض الأحوال دون بعض فإن مسألة المخلوق قد تكون جائزة، وقد تكون منهيًا عنها» وتقدَّم، فإذا كان يقدر جاز أن تطلب منه، وإذا

كان لا يقدر فلا يجوز.

○ قوله: «**وقال تعالىٰ**: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾ [الشرح: ٧-٨]» فالشاهد قوله: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾ أي: ارغب إلىٰ الله لا إلىٰ غيره في سؤالك، وتضرع إليه وحده.

○ قوله: «**وأوصىٰ النبي ﷺ ابن عباس «إذا سألت فسأل الله»**» أي: لا تسأل مخلوقًا، «**وإذا استعنت فاستعن بالله**»[(١)]».

○ قوله: «**وأوصىٰ النبي ﷺ طائفة من أصحابه ألَّا يسألوا الناس شيئًا فكان أحدهم يسقط سوطه من يده فلا يقول لأحد: «ناولني إياه»**» والحديث في «صحيح مسلم»[(٢)] عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ: «**أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟**»، وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ، فَقُلْنَا: «قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ»، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟**»، فَقُلْنَا: «قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ»، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟**»، قَالَ: فَبَسَطْنَا أَيْدِينَا، وَقُلْنَا: «قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَعَلَامَ نُبَايِعُكَ؟»، قَالَ: «**عَلَىٰ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَتُطِيعُوا**»، **وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً**، «**وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا**»، فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولَئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ.

وقوله ﷺ: «**شَيْئًا**» نكرة في سياق النهي فتعم أي شيء،

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب (٥٩)، رقم (٢٥١٦)، وأحمد (١/ ٢٩٣). **قال الترمذي**: «حديث حسن صحيح». وجوَّد إسناده **ابن رجب** في «جامع العلوم والحكم» (ص ١٨٥).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، رقم (١٠٤٣).

فوفَّوا ﷺ بهذه البيعة، فكان أحدهم إذا كان راكبًا علىٰ دابته وسقط سوطُهُ أو عصاه لا يقول لأخيه الرَّاحِل: «يا فلان، أعطني سوطي»، بل ينزل ويأخذ سوطه بنفسه؛ حتىٰ لا يسأل أحدًا شيئًا ولو دقَّ.

وسؤال المخلوق ـ ولو جاز ـ فيه أذية له، وينبغي للعبد ما استطاع أن يستغني عن سؤاله، وتجد بعض الناس ـ ولا سيما كبار السن ـ جالسًا في المسجد فيسأل مَنْ عنده «يا فلان، أعطني العصا»، «يا فلان أعطني المصحف»، «أعطني كأس ماء»، وهذا داخل في عموم السؤال وهو مكروه، لكن يستثنىٰ مِنْ هذا ما إذا كان المسئول يسرُّهُ سؤال السائل ولا يؤذيه كأن يكون المسئول تلميذًا للشيخ أو ابنًا له أو خادمًا.

○ قوله: «**وثبت في «الصحيحين»**[1] **أنه ﷺ قال: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب، وهم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلىٰ ربهم يتوكلون»، والاسترقاء طلب الرقية، وهو من أنواع الدعاء**» والشاهد من هذا الحديث: أن من صفات الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب «**الذين لا يسترقون**» أي: لا يطلبون الرقية، والرقية هي العوذة، وهي ما يقرأ علىٰ المريض من القرآن والأدعية النبوية، فلا يقول: «يا فلان ارقني»، فهو وإن كان جائزًا لكنَّ فيه حاجة للمخلوق وميلًا من قلبك نحوه، فالذين يدخلون الجنة من غير حساب ولا عذاب لا يسألون أحدًا إلَّا الله، فهم لا يسألون الناس الرقية، لكن إن جاءه راق ورقاه بدون طلب منه فلا بأس.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب «من اكتوىٰ أو كوىٰ غيره، وفضل من لم يكتو»، رقم (٥٧٠٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (٢٢٠) من حديث ابن عباس ﷺ.

وإذا تعيَّنت الرقية طريقاً للشفاء فلا حرج في طلبها، ولا تخل بصفات السبعين ألفًا؛ في «صحيح مسلم»[(١)] عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: «**رَخَّصَ النَّبِيُّ لِآلِ حَزْمٍ فِي رُقْيَةِ الْحَيَّةِ**»، وَقَالَ لِأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ: «**مَا لِي أَرَىٰ أَجْسَامَ بَنِي أَخِي ضَارِعَةً**[(٢)] **تُصِيبُهُمْ الْحَاجَةُ**»، قَالَتْ: «لَا، وَلَكِنْ الْعَيْنُ تُسْرِعُ إِلَيْهِمْ»، قَالَ: «**ارْقِيهِمْ**»، قَالَتْ: «فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ»، فَقَالَ: «**ارْقِيهِمْ**».

ومن صفات الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب الذين «**لا يكتوون**» أي: يفعل ذلك بهم غيرهم.

والمراد بـ «**لا يكتوون**» أي: بعد نزول المرض بهم، وأما مَنْ قال لا يكتوون وقاية من الأمراض قبل نزول الداء **فضعيف**.

والكي بالنار فيه تعذيب، وهو من الأمور المكروهة، إلَّا إذا تعيَّن كطريق للشفاء فلا بأس به؛ لأن النبي ﷺ كوىٰ بعض أصحابه[(٣)]، وكما يقال: «آخر الطب الكي».

ومن صفات الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب الذين «لا يتطيرون»، والطيرة هي التشاؤم بالطيور ونحوها، وهي من الشِّرك.

فهم لا يسترقون وهي خلاف الأولىٰ، ولا يكتوون وهو مكروه، ولا يتطيرون وهي شرك، فلا يفعلون خلاف الأولىٰ ولا

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب السلام، رقم (٢١٩٨).

(٢) أي: نحيفة. شرح النووي علىٰ «صحيح مسلم» (١٤/١٨٦)

(٣) من ذلك: أنه عليه الصلاة والسلام كوىٰ أبيًّا كما في «صحيح مسلم»، كتاب السلام، رقم (٢٢٠٧) قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: «**رُمِيَ أُبَيٌّ يَوْمَ الْأَحْزَابِ عَلَىٰ أَكْحَلِهِ، فَكَوَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ**».

المكروه ولا الشِّرك.

وختم ﷺ ذلك بقوله «وعلىٰ ربهم يتوكلون» دلالة علىٰ أن ترك الاسترقاء والاكتواء والتطير من أعلىٰ مقامات التوكل.

○ قوله: «**ومع هذا فقد ثبت عنه في «الصحيحين» أنه قال: «ما من رجل يدعو لأخيه بظهر الغيب دعوة إلَّا وكَّلَ الله بها ملكًا كلما دعا لأخيه بدعوة قال الملك الموكَّل: «ولك بمثلِ ذلك»»**» وهذا الحديث رواه الإمام مسلم في «صحيحه»[1] بنحوه.

فإذا دعا العبد لأخيه المسلم فهو علىٰ خير؛ فيدعو الملك له ويقول: «لك بمثله»، ولكن لا تطلب منه فتقول: «يا فلان، ادع لي»، وبعض الناس يؤذيك فكلما لقيك قال: «يا فلان، ادع الله لي»؛ فيدعو المرء لنفسه، وطلب الدعاء من الناس مكروه، لأن في ذاك سؤال للناس، إلا في حالة واحدة كما سيأتي، وإذا طلبت مِنْ غيرك أن يدعو لك فهذا مكروه؛ لأن فيه سؤال الناس، إلَّا في حال واحدة ستأتي، «**والله ﷻ أعلم**».

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم (٢٧٣٢) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

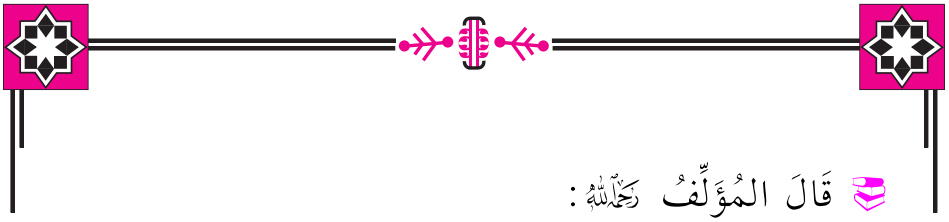

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ومن الأمر المشروع في الدعاء: دعاء غائب لغائب، ولهذا أمرنا النبي ﷺ بالصلاة عليه، وطلب الوسيلة له، وأخبرنا بما لنا بذلك من الأجر إذا دعونا بذلك، فقال في الحديث: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليَّ؛ فإن مَنْ صلَّىٰ عليَّ مرة صلَّىٰ الله عليه عشرًا، ثم اسألوا الله لي الوسيلة، فإنها درجة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلَّا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا ذلك العبد، فمن سأل الله لي الوسيلة حلَّتْ له شفاعتي يوم القيامة»».

الشَّرح

ذكر **المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ أن دعاء المخلوق تارة يكون جائزًا، وتارة غير جائز.

قال: «ومن الأمر المشروع في الدعاء: دعاء غائب لغائب» ومَثَّلَ لذلك فقال: «ولهذا أمرنا النبي ﷺ بالصلاة عليه، وطلب الوسيلة له» وهو ﷺ غائب، والوسيلة درجة عالية في الجنة، وهي منزلة النبي ﷺ، «وأخبرنا بما لنا بذلك من الأجر إذا دعونا بذلك، فقال في الحديث: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول» يعني: تابعوا المؤذن «ثم صلوا عليَّ؛ فإن مَنْ صلَّىٰ عليَّ مرة صلَّىٰ الله عليه عشرًا» وهذا فضل عظيم؛ تصلي علىٰ النبي ﷺ صلاة واحدة فيصلي الله عليك بها عشرًا، وأصح ما قيل في تعريف صلاة الله علىٰ عبده[1]: ما رواه البخاري في

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١١/١٥٦).

«صحيحه»[١] قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ : «صَلَاةُ اللهِ : ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ : الدُّعَاءُ».

○ قوله: «**ثم اسألوا الله لي الوسيلة، فإنها درجة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلَّا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا ذلك العبد**» ورجاؤه عليه الصَّلاة والسَّلام محقَّقٌ؛ فهو وعد له عليه الصَّلاة والسَّلام.

«فمن سأل الله لي الوسيلة حلَّتْ له شفاعتي يوم القيامة»[٢] وهذه بشارة للمؤمن، فنسأل الله تعالىٰ الوسيلة له ﷺ، ونسأله سبحانه أن يُحِل لنا شفاعته يوم القيامة.

(١) ذكره البخاري في «صحيحه» (٤/ ١٨٠٢) مُعلَّقًا بصيغة الجزم.
ووصله القاضي أبو إسحاق في «فضل الصلاة علىٰ النبي؟» رقم (٩٥).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، رقم (٣٨٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

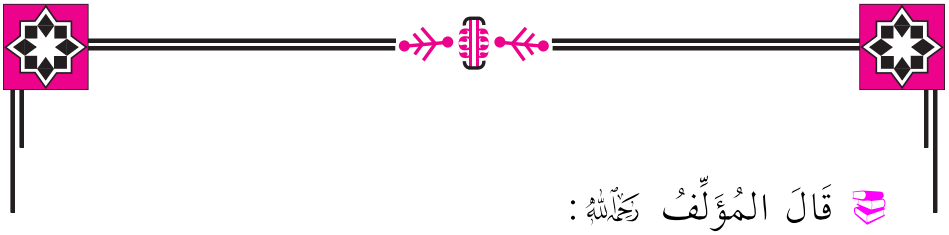

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ويشرع للمسلم أن يطلب الدعاء ممن هو فوقه وممن هو دونه، فقد روي طلب الدعاء من الأعلىٰ والأدنىٰ؛ فإن النبي ﷺ ودَّع عمر إلىٰ العمرة فقال: «لا تنسنا من دعائك يا أخي»، لكن النبي ﷺ لما أمرنا بالصلاة عليه وطلب الوسيلة له ذكر أن مَنْ صلىٰ عليه مرة صلَّىٰ الله بها عليه عشرًا، وأن من سأل الله له الوسيلة حلَّتْ له شفاعته يوم القيامة، فكان طلبه مِنَّا لمنفعتنا في ذلك، وفرق بين مَنْ طلب مِنْ غيره شيئًا لمنفعة المطلوب منه ومن يسأل غيره لحاجته إليه فقط، وثبت عنه في «الصحيح» أنه ﷺ ذكر أويسًا القرني، وقال لعمر: «إن استطعت أن يستغفر لك فافعل»، وفي «الصحيحين» أنه كان بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما شيء فقال أبو بكر لعمر: «استغفر لي»، لكن في الحديث أن أبا بكر ذكر أنه حنق علىٰ عمر، وثبت أن أقوامًا كانوا يسترقون، وكان النبي ﷺ يرقيهم».

الشَّرح

○ قوله: «ويشرع للمسلم أن يطلب الدعاء ممن هو فوقه» كأن يكون عالمًا صالحًا فاضلًا، «وممن هو دونه» بشرط أن يكون حيًّا، كأن يكون تلميذًا لك.

وذكر رَحِمَهُ اللَّهُ طلب الدعاء من الأعلىٰ للأدنىٰ، ومَثَّلَ له بطلب النبي ﷺ مِنْ عمر رضي الله عنه أن يدعو له.

قال: «فقد روي طلب الدعاء من الأعلىٰ والأدنىٰ؛ فإن النبي

ﷺ ودَّع عمر إلىٰ العمرة فقال : «لا تنسنا من دعائك يا أخي»[(١)]»
لكن في الحديث ضعف؛ في سنده **عاصم بن عبيد الله العُمري** ضعيف[(٢)]، ولكن هذا مثال لمسألة عضدها المؤلف بشواهد أخرىٰ صحيحة .

ومثال طلب الدعاء من الأدنىٰ للأعلىٰ : ما في «الصحيحين»[(٣)] عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَتْ أُمِّي: «يَا رَسُولَ اللهِ، خَادِمُكَ أَنَسٌ ادْعُ اللهَ لَهُ»، قَالَ: «**اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ**».

○ قوله: «**لكن النبي ﷺ لما أمرنا بالصلاة عليه وطلب الوسيلة له ذكر أن مَنْ صلىٰ عليه مرة صلَّىٰ الله بها عليه عشرًا، وأن من سأل الله له الوسيلة حلَّتْ له شفاعته يوم القيامة، فكان طلبه مِنَّا لمنفعتنا في ذلك**» وهذا طلب منه عليه الصَّلاة والسَّلام من الأمة أن يصلوا عليه، لكنه متضمن لأعظم النفع لكلِّ ممتثل له، فإذا صليتَ عليه مرة صلىٰ الله عليك بها عشرًا، فترتب علىٰ هذا الطلب صلاة الله علىٰ المصلي ونفع هذا وأثره لا حدود له، فيكون المسؤول منه الدعاء مستفيدًا غاية الاستفادة.

○ قوله: «**وفرق بين مَنْ طلب مِنْ غيره شيئًا لمنفعة المطلوب منه ومن يسأل غيره لحاجته إليه فقط**» فالرسول ﷺ سألنا أن ندعو له

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب «الدعاء»، رقم (١٤٩٨)، والترمذي، كتاب الدعوات، باب (١١٠)، رقم (٣٥٦٢)، وابن ماجه، كتاب المناسك، باب «فضل دعاء الحاج»، رقم (٢٨٩٤)، وأحمد (١/ ٢٩). **قال الترمذي**: «حسن صحيح».

(٢) ترجمته في: «تهذيب الكمال» للمزي (١٣/ ٥٠٠ ـ ٥٠٦).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب «دعوة النبي؟ لخادمه بطول العمر وبكثرة ماله»، رقم (٦٣٤٤)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٤٨٠).

لمحض منفعتنا، فإذا صلينا علىٰ النبي ﷺ مرة صلىٰ الله بها علينا عشرًا، بخلاف غيره فإنه يطلب لمنفعته هو فقط، ففرق بين مَنْ يسأل لينتفع هو وبين مَنْ يسأل لينتفع المطلوب.

وذكر رحمه الله أمثلة علىٰ طلب الدعاء، فقال: «**وثبت عنه في «الصحيح» أنه ﷺ ذكر أويسًا القرني**» وهو من بلاد اليمن، سيد التابعين في زمانه[1] «**وقال لعمر: «إن استطعت أن يستغفر لك فافعل»**» روىٰ الإمام مسلم في «صحيحه»[2] عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ «أُوَيْسٌ» وَلَهُ وَالِدَةٌ، وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَمُرُوهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ»، فهذا أمر لهم بسؤال أويس الاستغفار لهم.

○ قوله: «**وفي «الصحيحين» أنه كان بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما شيء**» يعني: حصل بينهما بعض الخلاف «**فقال أبو بكر لعمر: «استغفر لي»، لكن في الحديث أن أبا بكر ذكر أنه حنق علىٰ عمر**» والقصة معروفة، أخرج البخاري في «صحيحه»[3] عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَتْ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ مُحَاوَرَةٌ فَأَغْضَبَ أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ فَانْصَرَفَ عَنْهُ عُمَرُ مُغْضَبًا، فَاتَّبَعَهُ أَبُو بَكْرٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ فَلَمْ يَفْعَلْ حَتَّىٰ أَغْلَقَ بَابَهُ فِي وَجْهِهِ فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ وَنَحْنُ عِنْدَهُ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَّا صَاحِبُكُمْ

---

(١) ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٤/ ١٩ ـ ٣٣).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٥٤٢).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب «﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨]»، رقم (٤٦٤٠).

هَذَا فَقَدْ غَامَرَ»، قَالَ: «وَنَدِمَ عُمَرُ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْهُ فَأَقْبَلَ حَتَّىٰ سَلَّمَ وَجَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَصَّ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْخَبَرَ»، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: وَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يَقُولُ: «وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، لَأَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي؟، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي؟، إِنِّي قُلْتُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا»، فَقُلْتُمْ: «كَذَبْتَ»»، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: «صَدَقْتَ».

وفي هذا الحديث: بيان فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومنزلته عند رسول الله ﷺ.

○ قوله: «**وثبت أن أقوامًا كانوا يسترقون**» أي: يطلبون الرقية، فيقولون: «ارقنا، وادع الله لنا بالشفاء»، «**وكان النبي ﷺ يرقيهم**[1]» فأقرهم النبي ﷺ ولم ينههم عن سؤاله الرقية، ولو كان حرامًا لنهاهم.

(١) انظر: «صحيح البخاري»، كتاب الطب، باب «رقية النبي ﷺ».

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وثبت في «الصحيحين» أن الناس لما أجدبوا سألوا النبي ﷺ أن يستسقي لهم، فدعا الله ﷻ لهم حتىٰ سقوا، وفي «الصحيح» أيضًا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقىٰ بالعباس فدعا فقال: «اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فأسقنا» فيسقون، وفي «السنن» أن أعرابيًا قال للنبي ﷺ: «جهدت الأنفس، وجاع العيال، وهلك المال، فادع الله لنا؛ فإنا نستشفع بك علىٰ الله، ونستشفع بالله عليك»، فسبَّحَ رسول الله ﷺ حتىٰ عُرِفَ ذلك في وجوه أصحابه، وقال: «ويحك، إن الله لا يستشفع به علىٰ أحد مِنْ خلقه، شأن الله أعظم مِنْ ذلك»، فأقرَّهُ علىٰ قوله «إنا نستشفع بك علىٰ الله»، وأنكر عليه قوله «نستشفع بالله عليك»؛ لأن الشافع يسأل المشفوع إليه للمشفوع له، والعبد يسأل الله ويستشفع إليه، والرَّبُّ تعالىٰ لا يسأل العبد ويستشفع إليه، والله أعلم».

الشَّرح

○ قوله: «وثبت في «الصحيحين»[1] أن الناس لما أجدبوا» أي: أصابهم الجدب، وهو القحط وعدم نزول المطر «سألوا النبي ﷺ أن يستسقي لهم، فدعا الله ﷻ لهم حتىٰ سقوا» وهذا مِنْ سؤال

(١) أخرجه البخاري، كتاب الاستسقاء، باب «الاستسقاء في المسجد الجامع»، رقم (١٠١٣)، ومسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، رقم (٨٩٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

المخلوق الذي أجازه النبي ﷺ.

○ قوله: «وفي «الصحيح»[١] أيضًا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقىٰ بالعباس» أي: بدعائه «فدعا فقال: «اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فأسقنا» فيسقون» وهذا بعد وفاة النبي ﷺ فدل علىٰ أنه لا يجوز دعاء الميت؛ فالنبي ﷺ موجود ومع هذا عدلهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلىٰ دعاء عمه العباس، وهذا من الدعاء الجائز.

○ قوله: «وفي «السنن»[٢] أن أعرابيًا قال للنبي ﷺ: «جهدت الأنفس، وجاع العيال، وهلك المال، فادع الله لنا؛ فإنا نستشفع بك علىٰ الله، ونستشفع بالله عليك»، فسبَّحَ رسول الله ﷺ حتىٰ عُرِفَ ذلك في وجوه أصحابه، وقال: «ويحك، إن الله لا يستشفع به علىٰ أحد مِنْ خلقه، شأن الله أعظم مِنْ ذلك» وفي سنده **محمد بن إسحاق**[٣] وهو مدلس وقد عنعن، وقد ضعَّفَهُ **بعض العلماء**[٤]، **وحسَّنَهُ آخرون كشيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله[٥].

○ قوله: «فأقرَّهُ علىٰ قوله «إنا نستشفع بك علىٰ الله»» أي: نتوسل بدعائك إلىٰ الله، «وأنكر عليه قوله «نستشفع بالله عليك؛»» فمعناها: نجعل الله وسيلة إليك، فأنكرها ﷺ «لأن الشافع يسأل

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الاستسقاء، باب «سؤال الناس الإمام إذا قحطوا»، رقم (١٠١٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب «في الجهمية»، رقم (٤٧٢٦) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

(٣) ترجمته في: «تهذيب الكمال» (٢٤/ ٤٠٥ ـ ٤٢٩).

(٤) انظر: «الأسماء والصفات» للبيهقي (٢/ ٤٢٠).

(٥) انظر: «بيان تلبيس الجهمية» (١/ ٥٧٠).

المشفوع إليه للمشفوع له» وهم الخلق بأن يغيثهم **«والعبد يسأل الله ويستشفع إليه، والرَّبُّ تعالىٰ لا يسأل العبد ويستشفع إليه»**؛ فالرَّبُّ تعالىٰ ليس فوقه أحد، فهو يُسأل ولا يَسأل أحدًا، **«والله أعلم»**.

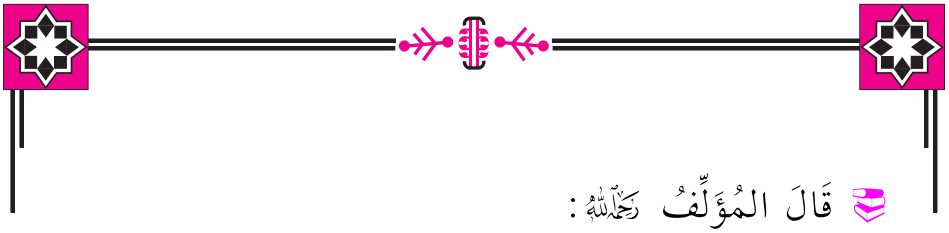

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وأما زيارة القبور المشروعة فهي أن يُسلِّمَ علىٰ الميت ويدعو له بمنزلة الصلاة علىٰ جنازته، كما كان النبي ﷺ يُعلِّم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا: «سلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، ويرحم الله المستقدمين مِنَّا ومنكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم»، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما مِنْ رجل يَمُرُّ بقبر رجل كان يعرفه في الدنيا فيُسلِّمُ عليه إلَّا ردَّ الله روحه عليه حتىٰ يَرُدَّ عليه السَّلام»، والله تعالىٰ يثيب الحي إذا دعا للميت المؤمن كما يثيبه إذا صلىٰ علىٰ جنازته، ولهذا نهي نبيه ﷺ أن يفعل ذلك بالمنافقين؛ لقوله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التّوبَة: ٨٤]، فليس في الزيارة الشرعية حاجة الحي إلىٰ الميت، ولا مسألته له، ولا توسله به، بل فيها منفعة الحي للميت كالصلاة عليه، والله تعالىٰ يرحم هذا ويثيبه علىٰ عمله، ويرحم هذا بدعاء هذا وإحسانه إليه؛ فإنه قد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلَّا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»».

الشَّرح

هذا البحث في زيارة القبور المشروعة، وتقدَّم أن ذكرنا أن زيارة القبور علىٰ ثلاثة أنواع:

الأول: **زيارة شرعية**، وهي أن يأتي القبر ويسلِّمَ علىٰ صاحبه

ويدعو له وينصرف، فيستفيد الحي والميت، يستفيد الحي بأن يرقَّ قلبه ويتذكر الآخرة، والميتُ بدعاء الحي له.

الثاني: زيارة بدعية، وهي أن يزور الميت ويفعل عند قبره عبادة يتبرك بفعلها عند هذا القبر، كأن يزوره الميت ويصلي لله عند قبره، فهو وإن لم يُصلِّ لصاحب القبر لكنها وسيلة للشرك؛ لأن الشيطان يتدرج بالإنسان، وكأن يختم القرآن عند القبر يطلب بذلك الفضل والبركة، أو يقرأ الحديث عنده، فكل هذه بدع لم يجعلها الشرع وسيلة، واتخاذها وسيلة يفضي إلىٰ الوقوع في الشِّرك.

الثالث: زيارة شركية، وهي أن يزور الميت ليصرف له نوعًا من أنواع العبادة كالذبح له، أو ليطوف بقبره يتقرب إليه، أو ليدعوه ويسأله جلبَ نفعٍ أو دفع ضر.

○ قوله: «**وأما زيارة القبور المشروعة فهي أن يُسلِّمَ علىٰ الميت ويدعو له بمنزلة الصلاة علىٰ جنازته**» كما يصلي علىٰ جنازته ويدعو له فكذلك يزور قبره ويدعو له، «**كما كان النبي ﷺ يُعلِّم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا: «سلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**[(١)]**، ويرحم الله المستقدمين مِنَّا ومنكم والمستأخرين**[(٢)]**، نسأل الله لنا ولكم العافية**[(٣)]**، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم**[(٤)]**»** هذا دعاء الزائر للمقبرة، يسلِّم

(١) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، رقم (٢٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، رقم (٩٧٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٣) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، رقم (٩٧٥) من حديث بريدة رضي الله عنه.
(٤) أخرجه ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب «ما جاء فيما يقال إذا دخل المقابر»، رقم (١٥٤٦)، والنسائي، كتاب عشرة النساء، باب الغيرة، (٧/ ٧٥)، وأحمد (٦/ ٧١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

عليهم ويدعو لهم بالرحمة ويسأل لهم العافية، ويسأل الله أن لا يحرمه أجرهم ولا يفتنه بعدهم، «**وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما مِنْ رجل يَمُرُّ بقبر رجل كان يعرفه في الدنيا فيُسلِّمُ عليه إلَّا ردَّ الله روحه عليه حتىٰ يَرُدَّ عليه السَّلام**»[(١)].

○ قوله: «**والله تعالىٰ يثيب الحي إذا دعا للميت المؤمن كما يثيبه إذا صلىٰ علىٰ جنازته**»؛ لأنه أحسن إليه، فإذا أحسنتَ إلىٰ أخيك الحي أو الميت أثابك الله، وتحسن إلىٰ أخيك الميت بأن تصلي علىٰ جنازته وتدعوا له، «**ولهذا نهي نبيه ﷺ أن يفعل ذلك بالمنافقين؛**» لأنهم كفار «**لقوله**: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾» يعني: بعد الدفن لتدعو له، ثم ذكر تعالىٰ العِلَّةَ فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة: ٨٤]، فدلَّ علىٰ أن الكافر لا يُدْعَىٰ له ولا يصلىٰ عليه، وما عداه وهو المؤمن يصلىٰ عليه ولو كان عاصيًا.

○ قوله: «**فليس في الزيارة الشرعية حاجة الحي إلىٰ الميت، ولا مسألته له، ولا توسله به**» ففي الزيارة الشرعية لا يحتاج الحي للميت ولا يسأله ولا يتوسل به، بل الميت هو الذي ينتفع بدعاء

---

(١) أخرجه تمام الرازي في «الفوائد» رقم (١٣٩) من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة مرفوعًا بلفظ: «إلَّا عرفه وردَّ عليه». **قال ابن عبد الهادي**: «هكذا روي مرفوعًا وهو ضعيف، والمحفوظ موقوف، **وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم** لا يحتج به». «الصارم المنكي في الرد علىٰ السبكي» (ص ٢٩٧). **وقال ابن الجوزي**: «هذا حديث لا يصح، وقد أجمعوا علىٰ تضعيف **عبد الرحمن بن زيد**، **قال ابن حبان**: «كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم، حتىٰ كثر ذلك في روايته من رفع المراسيل وإسناد الموقوف فاستحق الترك»». «العلل المتناهية» (٢/ ٩١١، ٩١٢).

الحي له، «بل فيها منفعة الحي للميت كالصلاة عليه، والله تعالىٰ يرحم هذا» يعني: الميت «ويثيبه» أي: الحي «علىٰ عمله»عند ما أحسن للميت ودعا له، «ويرحم هذا» أي: الميت «بدعاء هذا» أي: الحي «وإحسانه إليه؛ فإنه قد ثبت في «الصحيح»[1] عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلَّا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»»، والشاهد «**أو ولد يدعو له**».

(١) أخرجه مسلم، كتاب الوصية، رقم (١٦٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

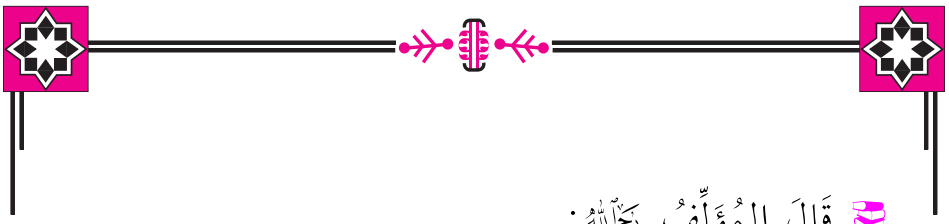

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فصل

وأما مَنْ يأتي إلىٰ قبر نبي أو رجل صالح أو مَنْ يعتقد فيه أنه قبر نبي أو رجل صالح وليس كذلك ويسأله ويستنجده فهذا علىٰ ثلاث درجات:

أحدها: أن يسأل حاجته، مثل: أن يسأله أن يزيل مرضه، أو مرض دوابه، أو يقضي دينه، أو ينتقم له مِنْ عدوه، أو يعافي نفسه وأهله ودوابه، ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلَّا الله تعالىٰ فهذا شرك صريح يجب أن يستتاب منه صاحبه، فإن تاب وإلَّا قُتِلَ.

وإن قال: «أنا أسأله؛ لكونه أقرب إلىٰ الله مني ليشفع لي في هذه الأمور، ولأني أتوسل إلىٰ الله به كما يتوسل إلىٰ السلطان بخواصه وأعوانه»، فهذه مِنْ أفعال المشركين والنصارىٰ، فإنهم يزعمون أنهم يتخذون أحبارهم ورهبانهم شفعاء يستشفعون بهم في مطالبهم، وكذلك أخبر الله عن المشركين أنهم قالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣]، وقال ﷻ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ٤٣ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٤٤﴾ [الزُّمَر: ٤٣-٤٤]، وقال تعالىٰ: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٤﴾ [السَّجدَة: ٤]، وقال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] فبيَّنَ الفرق بينه وبين خلقه، فإن مِنْ عادة الناس أن يستشفعوا إلىٰ الكبير مِنْ كبرائهم بِمَنْ يكرم

عليه، فيسأله ذلك الشفيع فيقضي حاجته إما رغبة أو رهبة، وإما حياء، وإما مودة، وإما غير ذلك.

والله سبحانه لا يشفع أحد عنده حتىٰ يأذن هو للشافع، فلا يفعل إلَّا ما يشاء، وشفاعة الشافع مِنْ إذنه، فالأمر كله له، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «لا يقولن أحدكم «اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت»، ولكن ليعزم المسألة؛ فإن الله لا مكره له»، فبيَّنَ أن الرَّبَّ سبحانه يفعل ما يشاء لا يكرهه أحد علىٰ ما يختاره كما قد يكره الشافع المشفوع إليه، وكما يكره السائل المسئول إذا ألحَّ عليه وآذاه بالمسألة، فالرغبة يجب أن تكون إليه كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [الشرح: ٧-٨]، والرهبة تكون منه كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ۝٥١﴾ [النحل: ٥١]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقد أمرنا أن نصلي علىٰ النبي ﷺ في الدعاء، وجعل ذلك من أسباب إجابة دعائنا.

وقول كثير مِنَ الضلال: «هذا أقرب إلىٰ الله مني، وأنا بعيد من الله لا يمكنني أن أدعوه إلَّا بهذه الواسطة» ونحو ذلك هو مِنْ أقوال المشركين، فإن الله تعالىٰ يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقد روي أن الصحابة قالوا: «يا رسول الله، ربنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه؟» فأنزل الله هذه الآية، وفي «الصحيح» أنهم كانوا في سفر وكانوا يرفعون أصواتهم بالتكبير، فقال النبي ﷺ: «يا أيها الناس، أربعوا علىٰ أنفسكم؛ فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، إنما تدعون سميعًا قريبًا، إن الذي تدعونه أقرب إلىٰ أحدكم مِنْ عنق راحلته»، وقد أمر الله تعالىٰ العباد كلهم بالصلاة له ومناجاته، وأمر كلًّا منهم أن

يقولوا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفَاتِحَة: ٥]، وقد أخبر عن المشركين أنهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣].

ثم يقال لهذا المشرك: «أنت إذا دعوتَ هذا، فإن كنت تظن أنه أعلم بحالك وأقدر علىٰ عطاء سؤالك أو أرحم بك مِنْ ربك فهذا جهل وضلال وكفر، وإن كنت تعلم أن الله أعلم وأقدر وأرحم فلماذا عدلت عن سؤاله إلىٰ سؤال غيره؟!، ألَّا تسمع إلىٰ ما خرَّجه البخاري وغيره عن جابر رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين مِنْ غير الفريضة، ثم ليقل: «اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك مِنْ فضلك العظيم؛ فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علَّام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به»»، قال: «ويسمي حاجته»، فأمر العبد أن يقول: «أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك مِنْ فضلك العظيم».

وإن كنت تعلم أنه أقرب إلىٰ الله منك وأعلىٰ درجة عند الله منك فهذا حق، لكن كلمة حق أريد بها باطل؛ فإنه إذا كان أقرب منك وأعلىٰ درجة منك فإنما معناه أن يثيبه ويعطيه أكثر مما يعطيك، ليس معناه أنك إذا دعوته كان الله يقضي حاجته أعظم مما يقضيها إذا دعوت أنت الله تعالىٰ، فإنك إن كنت مستحقًّا للعقاب وردَّ الله دعائك مثلًا لما فيه من العدوان فالنبي والصالح لا يعين علىٰ ما

يكره الله، ولا يسعىٰ فيما يبغضه الله، وإن لم يكن كذلك فالله أولىٰ بالرحمة والقبول منه».

﴿ الشَّرح ﴾

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فصل»، وفيه بَيَّنَ **المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ حكم الأقسام الثلاثة في سؤال الميت والطلب منه أو التوسل به، وهو تابع لجواب **السؤال الأول** من الأسئلة السبعة التي سُئِلَ عنها رَحِمَهُ اللَّهُ.

القسم الأول: أن يسأل الميت حاجته، بأن يطلب منه أن يشفيه من مرضه، أو ينصره علىٰ عدوه، أو يدخله الجنة، أو ينجيه من النار، فهذا شرك أكبر يخرج من المِلَّةِ، ويستتاب فاعله ـ أي: يؤمر بالتوبة ـ، فإن تاب وإلَّا قُتِلَ مِنْ قِبَلِ ولاة الأمور؛ لأنه مرتد.

القسم الثاني: أن يطلب من الميت أن يدعو له، يقول: «يا فلان، ادع الله لي أن يغفر لي»، أو «أن يرحمني»، فهو لم يسأل الميت حاجته بل طلب منه أن يسأل الله له، وهذا بدعة ووسيلة إلىٰ الشِّرك عند **المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ، وعند غيره شرك أكبر؛ لأنه سأل الميت ـ ولو لم يسأله أن يقضي حاجته ـ أن يدعو الله له.

القسم الثالث: أن يسأل الله بجاه فلان أو ببركته أو بحرمته، وهذا بدعة أيضًا؛ لأنه وإن سأل الله إلَّا أنه سأله بوسيلة غير مشروعة بل محرمة، وهي وسيلة مِنْ وسائل الشِّرك.

وقد جمعنا هذه الأقسام الثلاثة لأن **المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ ـ كعادته ـ لسعة علمه وغزارة استدلاله يتوسع فتتباعد الأقسام، وربما لا يأتي **القسم الثاني** إلَّا وقد نُسِيَ **الأول**.

○ قوله: «وأما مَنْ يأتي إلىٰ قبر نبي أو رجل صالح أو مَنْ يعتقد فيه أنه قبر نبي أو رجل صالح وليس كذلك ويسأله ويستنجده

فهذا علىٰ ثلاث درجات:

أحدها: أن يسأل حاجته، مثل: أن يسأله أن يزيل مرضه، أو مرض دوابه، أو يقضي دينه، أو ينتقم له مِنْ عدوه، أو يعافي نفسه وأهله ودوابه، ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلَّا الله تعالىٰ فهذا شرك صريح» خالصٌ لا شبهة فيه، فإذا فعل هذا وثَبَتَ عنه بلا ريب، وكان في دولة تقيم شرع الله فإنه يحكم عليه بالقتل؛ لأنه مشرك مرتدٌ، **«يجب أن يستتاب منه صاحبه»** فيستتيبه الحاكم الشرعي أو مَنْ ولَّاه الحاكم كالقاضي، **«فإن تاب وإلَّا قُتِلَ»** مرتدًا، وحكمه في الآخرة أنه خالد مخلَّدٌ في النار؛ لأنه مات علىٰ الشِّرك والكفر، نسأل الله السَّلامة والعافية.

○ قوله: **«وإن قال: «أنا أسأله؛ لكونه أقرب إلىٰ الله مني ليشفع لي في هذه الأمور، ولأني أتوسل إلىٰ الله به كما يتوسل إلىٰ السلطان بخواصه وأعوانه»»** وهذه شبهة يقولها مَنْ يسأل الموتىٰ الشفاعةَ، فتجدهم يقولون: «نعرف أن الأمر بيد الله، فالله هو الذي يقضي الحاجات، لكنهم أطهر وأصلح وأقرب إلىٰ الله مِنَّا، فكما أن الملك أو الرئيس أو الوزير لا يدخل عليه إلا بواسطة خواصه وأعوانه، فالله العظيم مِنْ باب أولىٰ» كذا يزعمون، فقاسوا الخالق بالمخلوق، من حيث أنه لا يوصل للملوك في الدنيا إلا بواسطة وهذا لضعفهم وحاجتهم لمن يوصل إليهم أحوال الناس وحاجاتهم، ولكن الله غني عن خلقه، عليم قدير، لا تخفىٰ عليه خافية في سر ولا علانية.

○ قوله: **«فهذه مِنْ أفعال المشركين والنصارىٰ، فإنهم يزعمون أنهم يتخذون أحبارهم ورهبانهم شفعاء يستشفعون بهم في مطالبهم، وكذلك أخبر الله عن المشركين أنهم قالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ**

إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣]، **وقال** ﷻ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزُّمَر: ٤٣-٤٤]» وفي هذه الآية إنكار علىٰ مَنْ اتخذ مِنْ دون الله شفعاء، فقال: قل لهم يا محمد: ﴿أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾﴾، ثم قال: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ﴾ أي: هو مالكها ﷻ، ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾ فَمَنْ له ملك كلِّ شيء هو الذي يسأل الشفاعة، فاطلبها مِنَ الله وحده، وقل: «يا رب، شفع فيَّ نبيك»، أما سؤال الميت الشفاعة فهذا شرك.

○ قوله: «**وقال تعالىٰ**: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾ [السَّجدَة: ٤]» فأخبر أنه ليس لهم ولي ولا شفيع مِنْ دون الله، «**وقال**: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]» وهذا استفهام بمعنىٰ النفي، أي: لا أحد يشفع عند الله إلَّا بعد الإذن منه سبحانه، فدلت هذه الآيات وما في معناها علىٰ بطلان ما يزعمه **المشركون والنصارىٰ** مِنْ شفاعة معبوديهم لهم.

○ قوله: «**فبيَّنَ الفرق بينه وبين خلقه، فإن مِنْ عادة الناس أن يستشفعوا إلىٰ الكبير مِنْ كبرائهم بِمَنْ يكرم عليه، فيسأله ذلك الشفيع فيقضي حاجته إما رغبة أو رهبة، وإما حياء، وإما مودة، وإما غير ذلك**» أي: أن الملك أو الوزير المشفوع عنده قد يقضي حاجة صاحب الحاجة رغبة وحبًّا للشافع، وقد يقضيها لا حبًّا فيه، بل رهبة ومخافة منه، أو توددًا إليه كأن يخشىٰ مثلًا أنه إن لم يقض حاجته أن يكرهه ويؤلب الناس عليه، والله تعالىٰ بخلاف ذلك كله، وله المثل الأعلىٰ، فلا يرجو أحدًا، ولا يخاف من أحد، وليس بينه وبين أحد مودة إلَّا بالتوحيد وإخلاص الدين له.

○ قوله: «والله سبحانه لا يشفع أحد عنده حتىٰ يأذن هو للشافع، فلا يفعل إلَّا ما يشاء، وشفاعة الشافع مِنْ إذنه»وهذا **الفرق الثاني**، فالملوك في الدنيا يشفع عندهم بدون إذن منهم، فيدخل الشافع علىٰ الملك أو الرئيس بدون إذنٍ فيشفع، لكن الرَّبَّ ﷻ لا يشفع عنده إلَّا بعد إذنه؛ لكمال عظمته ﷻ، وحتىٰ نبينا محمد ﷺ الذي هو أفضل الخلق منزلة وأعظمهم وجاهة عند الله لا يشفع يوم القيامة إلَّا بعد إذن الله تعالىٰ له.

فإن قيل: إذا كانت الشفاعة لا تكون إلَّا بعد إذن الله، فما الفائدة من الشفاعة؟.

والجواب: أن الفائدة منها هو إكرام الله تعالىٰ للشافع وإظهاره لمنزلته أمام الخلق، وإلا «فالأمر كله لله».

○ قوله: «ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «لا يقولن أحدكم «اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت»، ولكن ليعزم المسألة؛ فإن الله لا مكره له»» قولك: «إن شئت» استثناء، فلا تستثنِ بل اعزم؛ فإنك إن استثنيت فكأنك مستغنٍ غير محتاج إلىٰ المغفرة، فكأنك تقول: «يا ربي، إن شئت فاغفر لي، وإن لم تشأ فلا تغفر لي»، وعلل ﷺ النهي فقال: «**فإن الله لا مكره له**» أي: لا أحد يستطيع أن يكره الله علىٰ فعل شيء أو تركه، بل هو سبحانه يفعل ما يشاء ويختار، لا معقب لحكمه، ولا رادَّ لقضائه.

○ قوله: «فبيَّنَ أن الرَّبَّ سبحانه يفعل ما يشاء لا يكرهه أحد

(١) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب «ليعزم المسألة فإنه لا مكره له»، رقم (٦٣٣٩)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم (٢٦٧٩).

علىٰ ما يختاره كما قد يكره الشافع المشفوع إليه، وكما يكره السائل المسئول إذا ألحَّ عليه وآذاه بالمسألة» أما الله ﷻ فلا يكرهه أحد، **«فالرغبة يجب أن تكون إليه كما قال تعالىٰ:** ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [الشَّرح: ٧-٨]» يعني: ارغب إلىٰ ربك لا إلىٰ غيره **«والرهبة تكون منه كما قال تعالىٰ:** ﴿فَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ۝٥١﴾ [النّحل: ٥١]» أي: خصوني بالرهبة، **«وقال تعالىٰ:** ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المَائدة: ٤٤]، **وقد أمرنا أن نصلي علىٰ النبي ﷺ في الدعاء، وجعل ذلك من أسباب إجابة دعائنا»** فعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قال: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ لَمْ يُمَجِّدْ اللَّهَ تَعَالَىٰ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**عَجِلَ هَذَا**» ثُمَّ دَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ: «إِذَا صَلَّىٰ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ **بِتَمْجِيدِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَزَّ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَىٰ النَّبِيِّ**، ثُمَّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شَاءَ»[(١)].

○ قوله: **«وقول كثير مِنَ الضلال: «هذا أقرب إلىٰ الله مني، وأنا بعيد من الله لا يمكنني أن أدعوه إلَّا بهذه الواسطة» ونحو ذلك هو مِنْ أقوال المشركين، فإن الله تعالىٰ يقول:** ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦]» أي: فادعوني ولا تجعلوا بيني وبينكم واسطة، **«وقد روي أن الصحابة قالوا: «يا رسول الله، ربنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه؟»** المناجاة الكلام من قرب،

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب «الدعاء»، رقم (١٤٨١)، والترمذي، كتاب الدعوات، باب (٦٥)، رقم (٣٤٧٧)، والنسائي، كتاب السهو، باب «التمجيد والصلاة علىٰ النبي في الصلاة»، (٣/ ٤٤)، وأحمد (٦/ ١٨). **قال الترمذي**: «حسن صحيح». **وقال الحاكم**: «حديث صحيح علىٰ شرط مسلم، ولم يخرجاه». «المستدرك»(١/ ٣٥٤).

فإذا كنت تكلم صاحبك بصوت خافت يقال: «ناجاه»، وإذا كنت تكلمه بصوت عالٍ مِنْ بعيد يقال: «ناداه» «**فأنزل الله هذه الآية**»(١).

○ قوله: «**وفي «الصحيح»**(٢) **أنهم كانوا في سفر وكانوا يرفعون أصواتهم بالتكبير، فقال النبي ﷺ: «يا أيها الناس، أربعوا علىٰ أنفسكم؛»** أي: ارفقوا بها ولا تشقوا عليها برفع الصوت «**فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، إنما تدعون**» وهو الله ﷻ «**سميعًا قريبًا، إن الذي تدعونه أقرب إلىٰ أحدكم مِنْ عنق راحلته»**» فالله تعالىٰ قريب من الداعين بالإجابة ومن العابدين بالإثابة كما قال سبحانه: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ (١٩)﴾ [العَلق: ١٩]، فهو سبحانه فوق العرش بذاته، ولكنه قريب من السائلين بالإجابة، كما أنه قريب من العابدين بالإثابة، **وفي الحديث**: إثبات كمال صفة السمع والشهود، وأن أقوال عباده وأفعالهم لا تغيب عنه ولا تخفىٰ، فإن قوله «**لا تدعون أصم ولا غائبًا**» نفي، والنفي ليس كمالًا إلَّا إذا تضمن كمال الضِّدِّ.

○ قوله: «**وقد أمر الله تعالىٰ العباد كلهم بالصلاة له ومناجاته، وأمر كلًّا منهم أن يقولوا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)﴾** [الفَاتِحَة: ٥]، **وقد أخبر عن المشركين أنهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾** [الزُّمَر: ٣]» وهذا باطل، فهم لا يقربونهم، بل الشِّرك يبعدهم من الله ويبغضهم إليه.

---

(١) أخرجه الطبري في «التفسير» (٢/ ١٥٨). **قال ابن حجر**: «وفي سنده ضعيف». «العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٤٣٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب «ما يكره من رفع الصوت في التكبير»، رقم (٢٩٩٢)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم (٢٧٠٤) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

يناقش **المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ المشرك ويحاوره؛ لبيان بطلان شبهته، وأنه علىٰ ضلال.

قال: «**ثم يقال لهذا المشرك**» الذي يدعو صاحب القبر بأن يشفع له، أو يقضي حاجته، وشبهته في ذلك أنه مذنب مقصر، وهو عابد صالح فهو أقرب إلىٰ الله منه: «**أنت إذا دعوتَ هذا**» أي: صاحب القبر الميت «**فإن كنت تظن أنه أعلم بحالك وأقدر علىٰ عطاء سؤالك أو أرحم بك مِنْ ربك فهذا جهل وضلال وكفر**»مخرج من المِلَّةِ؛ لأنك لم تساوه بالله في الصفات فحسب، بل فضلته علىٰ الله ـ تعالىٰ الله عن ذلك عُلوًّا كبيرًا ـ فجعلته أعلم بحالك وأقدر علىٰ عطاء سؤالك وأرحم بك مِنْ ربك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، «**وإن كنت تعلم أن الله أعلم وأقدر وأرحم فلماذا عدلت عن سؤاله إلىٰ سؤال غيره؟!**» فأنت بين أمرين أحلاهما مرٌّ، فإذا قال: «لا، أنا أعتقد أن الله أعلم بحالي من الميت، وأنه أقدر علىٰ عطاء سؤالي منه، وأنه سبحانه أرحم بي منه»، فيقال له: «فلماذا تسأل الميت إذن؟!، لماذا لا تسأل مَنْ هو أعلم بك وأرحم وأقدر علىٰ تحقيق مطلوبك؟!»، وهذا إلزام واضح جلي.

○ قوله: «**ألَّا تسمع إلىٰ ما خرَّجه البخاري وغيره**[1] **عن جابر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال: «كان النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها**» في كلِّ أمر يشكل عليك مما لا تتحقق مصلحته استخر ربك فيه، وصل صلاة الاستخارة، ثم ارفع يديك وادع بدعائها، أما الأعمال المحقق خيرها فليس فيها استخارة، فلا يشرع أن يستخير الإنسان هل يصلي جماعة أو لا؟، أو هل يصوم الاثنين والخميس أو لا؟،

(١) أخرجه البخاري، كتاب التهجد، باب «ما جاء في التطوع مثنىٰ مثنىٰ»، رقم (١١٦٢).

ونحو ذلك «كما يعلمنا السورة من القرآن» كان ﷺ يعلمهم دعاء الاستخارة ويحرص علىٰ أن يعوه ويحفظوه؛ لما له مِنْ الثمرات علىٰ العبد في دينه ودنياه «يقول: «إذا همَّ أحدكم بالأمر» أي: بدا له أيُّ أمر وأشكل عليه مصلحته ومفسدته وخشي عواقبه «فليركع ركعتين مِنْ غير الفريضة، ثم ليقل» و«ثم» للترتيب والتراخي، وهذا يدل علىٰ أن الدعاء يكون بعد السلام من الركعتين: «اللهم إني أستخيرك بعلمك» يعني: أطلب منك يا الله أن تختار لي الخير بعلمك؛ لأنك تعلم كلَّ شيء «وأستقدرك بقدرتك، وأسألك مِنْ فضلك العظيم؛ فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علَّام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر» ويسميه بعينه، فيقول: «هذا الزواج»، أو «هذه التجارة»، أو «هذا السفر» «خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به»»، قال: «ويسمي حاجته»، فأمر العبد أن يقول: «أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك مِنْ فضلك العظيم» فأمر العبد بمخاطبة ربِّهِ مباشرة، وألَّا يتخذ بينه وبينه في كلِّ ما أهمه وسيطًا.

○ قوله: «وإن كنت تعلم أنه أقرب إلىٰ الله منك وأعلىٰ درجة عند الله منك فهذا حق، لكن كلمة حق أريد بها باطل؛ فإنه إذا كان أقرب منك وأعلىٰ درجة منك فإنما معناه أن يثيبه ويعطيه أكثر مما يعطيك، ليس معناه أنك إذا دعوته كان الله يقضي حاجته أعظم مما يقضيها إذا دعوت أنت الله تعالىٰ» أي: كونه أصلح منك فهذا يرفعه عند الله، وليس معناه أن يُسْأَلَ ويتوسَّل به، «فإنك إن كنت مستحقًّا

للعقاب وردَّ الله دعائك مثلًا لما فيه من العدوان فالنبي والصالح لا يعين علىٰ ما يكره الله، ولا يسعىٰ فيما يبغضه الله» أي: إن كنت مستحقًّا للعقاب وردَّ الله دعاءك لتضمنه سببًا من أسباب منع إجابة الدعاء فالنبي والصالح الذي تدعوه لا يعين علىٰ ما يكره الله لو كان بيده ذلك، فكيف والحال أنه لا يملك لنفسه فضلًا عن غيره نفعًا ولا ضرًا؟!، فظهر بهذا الإلزام أن دعاء المشرك لصاحب القبر واتخاذه واسطة باطل شرعًا وعقلًا، **«وإن لم يكن كذلك فالله أولىٰ بالرحمة والقبول منه»** أي: فمن قال: «أنا عاص، ولكني لم أدع بعدوان»، قيل له: «فالله أولىٰ برحمتك وقبولك من الميت، فادع الله مباشرة».

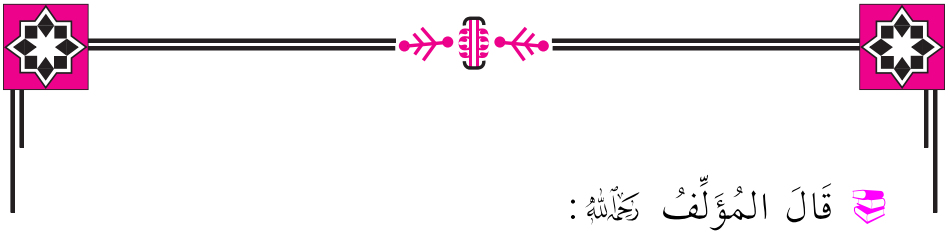

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وإن قلت: «هذا إذا دعا الله أجاب دعاءه أعظم مما يجيبه إذا دعوته أنا» فهذا هو القسم الثاني، وهو ألَّا تطلب منه الفعل ولا تدعوه، ولكن تطلب أن يدعو لك، كما تقول للحي: «ادع لي»، وكما كان الصحابة رضوان الله عليهم يطلبون من النبي ﷺ الدعاء، فهذا مشروع في الحي كما تقدَّم، وأما الميت من الأنبياء والصالحين وغيرهم فلم يشرع لنا أن نقول: «ادع لنا»، ولا «اسأل لنا ربك»، ولا نحو ذلك، لم يفعل هذا أحد من الصحابة والتابعين، ولا أمر به أحد من الأئمة، ولا ورد في ذلك حديث، بل الذي ثبت في «الصحيح» أنهم لما أجدبوا زمن عمر رضي الله عنه استسقىٰ عمر بالعباس، فقال: «اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فأسقنا» فيسقون، ولم يجيئوا إلىٰ قبر النبي ﷺ قائلين: «يا رسول الله، ادع الله لنا، واستسق لنا، ونحن نشتكي إليك مما أصابنا»، ونحو ذلك، لم يفعل ذلك أحد من الصحابة قط، بل هو بدعة ما أنزل الله بها من سلطان، بل كانوا إذا جاءوا عند قبر النبي ﷺ يُسلِّمُون عليه، ثم إذا أرادوا الدعاء لم يدعوا الله مستقبلي القبر الشريف، بل ينحرفون ويستقبلون القبلة، ويدعون الله وحده لا شريك له كما يدعونه في سائر البقاع، وذلك أن في «الموطأ» وغيره عنه ﷺ قال: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتد غضب الله علىٰ قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، وفي «السنن» عنه أنه قال: «لا تتخذوا قبري عيدًا، وصلوا عليَّ حيثما كنتم، فإن

صلاتكم تبلغني»، وفي «الصحيح» عنه أنه قال في مرضه الذي لم يقم منه : «لعن الله اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يُحذِّرُ ما فعلوا، فقالت عائشة ﵂ وعن أبويها : «ولولا ذلك لأبرز قبره، لكن كره أن يتخذ مسجدًا»، وفي «صحيح مسلم» عنه صلىٰ الله عليه وآله وسلم أنه قال قبل أن يموت بخمس : «إن مَنْ كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»، وفي «سنن أبي داود» عنه أنه قال : «لعن الله زوَّارات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج»، ولهذا قال علماؤنا : لا يجوز بناء المسجد علىٰ القبور.

وقالوا : إنه لا يجوز أن ينذر لقبر ولا للمجاورين عند القبر شيئًا من الأشياء لا مِنْ درهم، ولا زيت، ولا شمع، ولا حيوان، ولا غير ذلك، بل ذلك كله نذر معصية، وقد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال : «مَنْ نذر أن يطيع الله فليطعه، ومَنْ نذر أن يعصي الله فلا يعصه»، واختلف العلماء هل علىٰ الناذر كفارة يمين؟، علىٰ قولين.

ولهذا لم يقل أحد من أئمتنا المسلمين أن الصلاة عند القبور مستحبة أو فيها فضيلة، ولا أن الصلاة هناك والدعاء أفضل من الصلاة في غير تلك البقعة والدعاء، بل اتفقوا كلهم علىٰ أن الصلاة في المساجد والبيوت أفضل من الصلاة عند القبور ـ قبور الأنبياء والصالحين ـ سواء سميت «مشاهد» أو لم تسم، وقد شرع الله ورسوله في المساجد دون المشاهد أشياء، فقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ [البَقَرَة: ١١٤] ولم يقل «المشاهد»، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البَقَرَة: ١٨٧] ولم يقل «المشاهد»، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعرَاف: ٢٩]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ

مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة: ١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨]، وقال النبي ﷺ: «صلاة الرجل في المسجد تفضل علىٰ صلاته في بيته وسوقه بخمس وعشرين ضعفًا»، وقال النبي ﷺ: «مَنْ بنىٰ لله مسجدًا بنىٰ الله له بيتًا في الجنة»، وأما القبور فقد ورد نهيه صلىٰ الله عليه وآله وسلم عن اتخاذها مساجد، ولعن الله مَنْ يفعل ذلك، وذكره غير واحد من الصحابة والتابعين ـ كما ذكره البخاري في «صحيحه» والطبري وغيره في تفاسيرهم، وذكره وثيمة وغيره في «قصص الأنبياء» ـ في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣] قالوا: «هذه أسماء قوم صالحين كانوا في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا علىٰ قبورهم، ثم طال عليهم الأمد فاتخذوا تماثيلهم أصنامًا»، وكان العكوف علىٰ القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء عندها وفيها ونحو ذلك هو أصل الشِّرك وعبادة الأوثان، ولهذا قال النبي ﷺ: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد».

ولهذا اتفق العلماء علىٰ أن مَنْ زار قبر النبي ﷺ أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين ـ من الصحابة وأهل البيت وغيرهم ـ فإنه لا يتمسح به، ولا يقبِّله، بل ليس في الدنيا من الجمادات ما يشرع تقبيله إلَّا الحجر الأسود، وقد ثبت في «الصحيحين» أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «والله، إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبِّلك ما قبَّلتك»، ولهذا لا يسن باتفاق الأئمة أن يُقبِّلَ الرجل ويستلم ركني البيت اللذين يليان الحجر، ولا جدران البيت، ولا مقام إبراهيم، ولا صخرة بيت المقدس، ولا قبر أحد من الأنبياء والصالحين، حتىٰ تنازع الفقهاء في وضع اليد علىٰ

منبر سيدنا رسول الله ﷺ لما كان موجودًا، فكرهه مالك وغيره؛ لأنه بدعة، وذكر مالك أنه لما رأىٰ عطاء فعل ذلك لم يأخذ عنه العلم، ورخَّصَ فيه أحمد وغيره؛ لأن ابن عمر رضي الله عنهما فعله، وأما التمسح بقبر النبي ﷺ وتقبيله فكلهم كره ذلك ونهىٰ عنه؛ وذلك أنهم علموا ما قصده النبي ﷺ مِنْ حسم مادة الشِّرك، وتحقيق التوحيد، وإخلاص الدين لله رب العالمين.

وهذا مما يظهر به الفرق بين سؤال النبي ﷺ والرجل الصالح في حياته وبين سؤاله بعد موته وفي مغيبه، وذلك أنه في حياته لا يعبده أحد بحضوره، فإذا كان الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه والصالحون أحياء لا يتركون أحدًا يشرك بهم بحضورهم، بل ينهونهم عن ذلك ويعاقبونهم عليه، ولهذا قال المسيح عليه السلام: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المَائدة: ١١٧]، وقال رجل للنبي ﷺ: «ما شاء الله وشئت»، فقال: «أجعلتني لله ندًّا؟!، قل: «ما شاء الله وحده»»، وقال: «لا تقولوا «ما شاء الله وشاء محمد»، ولكن قولوا «ما شاء الله ثم شاء محمد»»، ولما قالت الجويرية: «وفينا نبي الله يعلم ما في غد»، قال: «دعي هذا، وقولي بالذي كنت تقولين»، وقال: «لا تطروني كما أطرت النصارىٰ عيسىٰ بن مريم؛ فإنما أنا عبد، فقولوا «عبد الله ورسوله»»، ولما صلوا خلفه قيامًا قال: «لا تعظموني كما يعظم الأعاجم بعضهم بعضًا»، وقال أنس رضي الله عنه: «لم يكن شخص أحب إليهم مِنْ رسول الله ﷺ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له؛ لما يعلمون مِنْ كراهته لذلك»، ولما سجد له معاذ نهاه، وقال: «إنه لا يصلح السجود إلَّا لله رب العالمين، ولو كنت آمرا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها؛ مِنْ

عظم حقِّهِ عليها»، ولما أتي علي بالزنادقة الذين غلوا واعتقدوا فيه الإلهية أمر بتحريقهم بالنار، فهذا شأن أنبياء الله وأوليائه، وإنما يقر علىٰ الغلو فيه وتعظيمه بغير حقٍّ مَنْ يريد عُلوًّا في الأرض وفسادًا كفرعون ونحوه ومشايخ الضلالة الذين غرضهم العلو في الأرض، والفساد، والفتنة بالأنبياء والصالحين، واتخاذهم أربابًا، والإشراك بهم مما يحصل في مغيبهم وفي مماتهم كما أشرك بالمسيح وعزير.

فهذا مما يبيِّنُ الفرق بين سؤال النبي ﷺ والصالح في حياته وحضوره وبين سؤاله في مماته ومغيبه، ولهذا لم يكن أحد من سلف الأمة لا في عصر الصحابة ولا التابعين ولا تابع التابعين يتحرون الصلاة والدعاء عند قبور الأنبياء والصالحين، ولا يسألونهم، ولا يستغيثون بهم لا في مغيبهم ولا عند قبورهم، وكذلك العكوف.

ومِنْ أعظم الشِّرك: أن يستغيث الرجل برجل ميت أو غائب كما ذكره السائل، ويستغيث به عند المصائب يقول: «يا سيدي فلان» كأنه يطلب منه إزالة ضرره أو جلب نفعه، وهذا حال النصارىٰ في المسيح وأمه وأحبارهم ورهبانهم، ومعلوم أن خير الخلق وأكرمهم علىٰ الله نبينا محمد ﷺ، وأعلم الناس بحقه وقدره أصحابه، ولم يكونوا يفعلون شيئًا من ذلك لا في مغيبه ولا بعد مماته.

وهؤلاء المشركون يضمون إلىٰ الشِّرك الكذب؛ فإن الكذب مقرون بالشِّرك، وقد قال تعالىٰ: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ [الحج: ٣٠-٣١]، وقال النبي ﷺ: «عدلت شهادة الزور الإشراك بالله» مرتين أو ثلاثًا، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ۝١٥٢﴾ [الأعراف: ١٥٢]، وقال الخليل

عليه السلام: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الصَّافات: ٨٦-٨٧]، فمن كذبهم أن أحدهم يقول عن شيخه: «إن المريد إذا كان بالمغرب وشيخه بالمشرق وانكشف غطاؤه رَدَّهُ عليه، وإن الشيخ إن لم يكن كذلك لم يكن شيخًا»، وقد تغويهم الشياطين كما تغوي عُبَّادَ الأصنام كما كان يجري للعرب في أصنامها ولعُبَّادِ الكواكب وطلاسمها من أهل الشِّرك والسحر كما يجري للتتار والهنود والسودان وغيرهم مِنْ أصناف المشركين مِنْ إغواء الشياطين لهم ومخاطبتهم ونحو ذلك، فكثير مِنْ هؤلاء قد يجري له نوع مِنْ ذلك، لا سيما عند سماع المكاء والتصدية؛ فإن الشياطين قد تنزل عليهم، وقد يصيب أحدهم كما يصيب المصروع من الإرغاء والإزباد والصياح المنكر، وتكلمه بما لا يعقل هو والحاضرون، وأمثال ذلك مما يمكن وقوعه في هؤلاء الضالين».

﴿ الشَّرح ﴾

○ قوله: «وإن قلت: «هذا إذا دعا الله أجاب دعاءه أعظم مما يجيبه إذا دعوته أنا» فهذا هو القسم الثاني، وهو ألَّا تطلب منه الفعل ولا تدعوه، ولكن تطلب أن يدعو لك، كما تقول للحي: «ادع لي»، وكما كان الصحابة رضوان الله عليهم يطلبون من النبي ﷺ الدعاء، فهذا مشروع في الحي كما تقدَّم، وأما الميت من الأنبياء والصالحين وغيرهم فلم يشرع لنا أن نقول: «ادع لنا»، ولا «اسأل لنا ربك»، ولا نحو ذلك» **فالقسم الثاني** هو ألَّا يسأل الميت حاجته، وإنما يسأله الدعاء، فيقول مثلًا: «يا فلان، ادع الله لي أن يشفي مريضي».

ويرىٰ **المؤلف** رحمه الله أن هذا القسم بدعة؛ لأنه لم يسأله أن يصنع به فعلًا، بل سأله أن يدعو له، فاتخذ وسيلة غير مشروعة إلىٰ

غاية مشروعة، والصواب أنه شرك؛ لأنه دعا غير الله فدخل في عموم قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يُونس: ١٠٦]، فالميت قد بُلِيت عظامه، فكيف يُدعىٰ؟!.

○ قوله: «لم يفعل هذا أحد من الصحابة والتابعين، ولا أمر به أحد من الأئمة، ولا ورد في ذلك حديث، بل الذي ثبت في «الصحيح»[(١)]» سؤال الحي، «أنهم لما أجدبوا زمن عمر رضي الله عنه استسقىٰ عمر بالعباس، فقال: «اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا» أي: بدعاء عمِّ النبي عليه الصَّلاة والسَّلام «فأسقنا» فيسقون»، وكذلك معاوية بن أبي سفيان لما أجدبوا استسقىٰ بيزيد بن الأسود الجرشي[(٢)].

○ قوله: «ولم يجيئوا إلىٰ قبر النبي ﷺ قائلين: «يا رسول الله، ادع الله لنا، واستسق لنا، ونحن نشتكي إليك مما أصابنا»، ونحو ذلك، لم يفعل ذلك أحد من الصحابة قط، بل هو بدعة ما أنزل الله بها من سلطان، بل كانوا إذا جاءوا عند قبر النبي ﷺ يُسلِّمُون عليه، ثم إذا أرادوا الدعاء لم يدعوا الله مستقبلي القبر الشريف، بل ينحرفون ويستقبلون القبلة، ويدعون الله وحده لا شريك له كما يدعونه في سائر البقاع، وذلك أن في «الموطأ» وغيره[(٣)] عنه ﷺ قال: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتد غضب الله علىٰ قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»» فدل علىٰ أنه لا يجوز اتخاذ القبر

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) أخرجه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٣٨١)، وصححه **ابن حجر** في «الإصابة» (٦/ ٥٤٨).

(٣) أخرجه مالك في «الموطإ» (١/ ١٧٢) رقم (٤١٤) عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار مرسلًا. =

مسجدًا، ولا الدعاء عند قبر الميت، «وفي «السنن»[(١)] عنه أنه قال: «لا تتخذوا قبري عيدًا» والعيد هو الذي يعود ويتكرر، والمعنىٰ: لا تشبهوا القبور بالأعياد فتخصِّصُوا لها وقتًا محددًا للزيارة أو للدعاء، بل الزيارة والدعاء في كلِّ وقت، «وصلوا عليَّ حيثما كنتم، فإن صلاتكم تبلغني» أي: في أيِّ مكان، في الشرق أو الغرب.

○ قوله: «وفي «الصحيح»[(٢)] عنه أنه قال في مرضه الذي لم يقم منه» يعني: في مرض موته: «لعن الله اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يُحذِّرُ ما فعلوا» أي: تحذيرًا لهذه الأمة أن تفعل مثل فعلهم فيصيبهم ما أصابهم، «فقالت عائشة رضي الله عنها وعن أبويها: «ولولا ذلك لأبرِز قبره» يعني: لأخرج مع القبور «لكن كره أن يتخذ مسجدًا» قد دُفِنَ الرسول ﷺ في حجرة عائشة رضي الله عنها، وقولها

= **قال ابن عبد البر**: «فهذا الحديث صحيح عند من قال بمراسيل الثقات، وعند من قال بالمسند؛ لإسناد **عمر بن محمد** له وهو ممن تقبل زيادته». «التمهيد» (٥/ ٤٢) ووصله البزار كما في «كشف الأستار» رقم (٤٤٠) من طريق محمد بن سليمان بن أبي داود الحراني، ثنا عمر بن صهبان، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا. **قال ابن رجب**: «وعمر هذا هو **ابن صهبان**؛ جاء منسوبًا في بعض نسخ «مسند البزار»، وظن **ابن عبد البر** أنه **عمر بن محمد العمري**، والظاهر أنه وهم». «فتح الباري في شرح صحيح البخاري» (٢/ ٤٤١). **قال الهيثمي**: «رواه البزار، وفيه **عمر بن صهبان** وقد اجتمعوا علىٰ ضعفه». «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٨). وأخرجه أحمد (٢/ ٢٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) أخرجه أبو داود، كتاب المناسك، باب «زيارة القبور»، رقم (٢٠٤٢)، وأحمد (٢/ ٣٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
قال النووي: «رواه أبو داود بإسناد صحيح». «المجموع» (٨/ ٢٠٣). **وقال ابن حجر**: «سنده صحيح». «فتح الباري» (٦/ ٤٨٨).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب «ما يكره من اتخاذ المساجد علىٰ القبور»، رقم (١٣٣٠)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٥٢٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

«ولولا ذلك لأبرز قبره، لكن كره أن يتخذ مسجدًا» اجتهاد منها رضي الله عنها، وقد نُصَّ علىٰ العِلَّةِ صريحًا في قوله ﷺ «مَا قَبَضَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُدْفَنَ فِيهِ»(١)، فمات النبي ﷺ في هذا المكان فدُفِنَ فيه، وظنت عائشة رضي الله عنها أن السبب في دفنه في بيته أنه خشي أن يتخذ مسجدًا.

وإن قيل: قد دعا الرسول ﷺ بألَّا يجعل قبره عيدًا، ولكنا نرىٰ الناس اليوم يستقبلونه ويدعونه مِنْ دون الله، ويستغيثون به، ويسألونه قضاء الحاجات، فكيف نفهم هذا الحديث؟، وهل أجيب دعاء النبي ﷺ أم لم يجب؟.

فالجواب: أن الرسول ﷺ دعا ربَّهُ فقال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد**» يعني: أن يُبَاشَر قبره بالعبادة كما يُبَاشَر الوثن بها، وهذا لم يحصل، بل استجاب الله لنبيه ﷺ، فلا يستطيع أحد أن يباشر قبره بعبادة؛ لأن هناك حواجز وجدرانًا حالت بين مَنْ يريد ذلك، وليس معنىٰ ذلك أنه يمنع أحدًا أن يعبده؛ فحتىٰ البعيد يستطيع أن يعبده ويعبد غيره ويدعوه، ولهذا **قال العلَّامة ابن القيم** رحمه الله:

ودعا بأن لا يجعل القبر الذي ... قد ضمه وثنًا من الأوثان
فأجاب رب العالمين دعاءه ... وأحاطه بثلاثة الجدران
حتىٰ اغتدت أرجاؤه بدعائه ... في عزة وحماية وصيان(٢)

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الجنائز، باب (٣٣)، رقم (١٠١٨) من طريق عبدالرحمن بن أبي بكر، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة، عن أبي بكر مرفوعًا. قال الترمذي: «هذا حديث غريب، **وعبد الرحمن بن أبي بكر المليكي** يضعف من قبل حفظه، وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه، فرواه ابن عباس عن أبي بكر الصديق عن النبي؟ أيضًا».

(٢) «النونية» (ص ٢٥٢).

○ قوله: «وفي «صحيح مسلم»[١] عنه صلىٰ الله عليه وآله وسلم أنه قال قبل أن يموت بخمس: «إن مَنْ كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»، وفي «سنن أبي داود»[٢] عنه أنه قال: «لعن الله زوَّارات القبور» وفي هذا مَنْع لِزيارة القبور للنساء، «والمتخذين عليها المساجد والسرج»؛ لأنه إذا اتخذ المسجد علىٰ القبر أو أنير وزُيِّنَ فهذا من وسائل الشِّرك ودعوة للبدع، «ولهذا قال علماؤنا: لا يجوز بناء المسجد علىٰ القبور».

○ قوله: «وقالوا: إنه لا يجوز أن ينذر لقبر ولا للمجاورين عند القبر شيئًا من الأشياء لا مِنْ درهم، ولا زيت، ولا شمع، ولا

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٥٣٢) من حديث جندب رضي الله عنه.

(٢) أخرج أبو داود، كتاب الجنائز، باب «في زيارة النساء القبور»، رقم (٣٢٣٦)، والترمذي، كتاب الصلاة، باب «ما جاء في كراهية أن يتخذ علىٰ القبر مسجدًا»، رقم (٣٢٠)، والنسائي، كتاب الجنائز، باب «التغليظ في اتخاذ السرج علىٰ القبور»، (٤/ ٩٤، ٩٥)، وابن ماجه، كتاب الجنائز، باب «ما جاء في النهي عن زيارة النساء القبور»، رقم (١٥٧٥)، وأحمد (١/ ٢٢٩) من طريق أبي صالح، عن ابن عباس به.
ولم يذكر ابن ماجه في روايته اتخاذ المساجد والسرج علىٰ القبور.
قال الترمذي: «حديث حسن». **وقال ابن رجب**: واختلف في **أبي صالح** هذا من هو؟، **فقيل**: إنه السمان، قاله **الطبراني**، وفيه بعد، **وقيل**: إنه ميزان البصري، وهو ثقة، قاله **ابن حبان**، **وقيل**: إنه باذان مولىٰ أم هاني، قاله **الإمام أحمد والجمهور**، وقد اختلف في أمره، فوثقه **العجلي**، **وقال ابن معين**: «ليس به بأس»، **وقال أبو حاتم**: «يكتب حديثه ولا يحتج به»، **وقال النسائي**: «ليس بثقة»، وضعفه **الإمام أحمد** وقال: «لم يصح عندي حديثه هذا»، وقال مسلم في كتاب «التفصيل»: «هذا الحديث ليس بثابت، **وأبو صالح باذام** قد اتقىٰ الناس حديثه، ولا يثبت له سماع من ابن عباس»». «فتح الباري في شرح صحيح البخاري» (٢/ ٤٠٢).

حيوان، ولا غير ذلك، بل ذلك كله نذر معصية» ونذر المعصية لا يجوز الوفاء به؛ **«وقد ثبت في «الصحيح»[(١)] عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ نذر أن يطيع الله فليطعه، ومَنْ نذر أن يعصي الله فلا يعصه»، واختلف العلماء هل علىٰ الناذر كفارة يمين؟، علىٰ قولين»** وهذا جواب **السؤال الثاني** من الأسئلة السبعة التي وجِّهت للمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو «فيمن ينذر للمساجد والزوايا والمشايخ حيهم وميتهم بالدراهم والإبل والغنم والشمع والزيت وغير ذلك، يقول: «إن سَلِمَ ولدي فللشيخ عليَّ كذا وكذا»، وأمثال ذلك»، والنذر لأصحاب القبور شرك أكبر؛ لأن النذر عبادة.

فإذا نذر الإنسان نذر معصية كأن يقول: «إن شفىٰ الله مريضي لأشربنَّ الخمر»، أو «الدخان» فهذا حرام ولا يجوز الوفاء به، وهل تلزمه كفارة يمين؟، علىٰ قولين **لأهل العلم[(٢)] منهم من قال**: تلزمه كفارة؛ واستدلوا بحديث النبي ﷺ أنه قال: **«لَا نَذْرَ فِي مَعْصِيَةٍ، وَكَفَّارَتُهُ كَفَّارَةُ يَمِينٍ»[(٣)]** وقال آخرون: ليس عليه كفارة؛ لأن الحديث

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب «النذر في الطاعة»، رقم (٦٦٩٦) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) انظر: «بداية المجتهد» لابن رشد (١/ ٣٠٩، ٣١٠).

(٣) هذا الحديث مروي من طرق:

أحدها ـ وهو أمثلها ـ: أخرجه النسائي، (٧/ ٢٧، ٢٨)، وأحمد (٤/ ٤٤٣) من حديث عمران بن الحصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

قال البيهقي: «وهذا الحديث مشهور **بمحمد بن الزبير الحنظلي**، واختلف عليه في إسناده ومتنه، **ومحمد بن الزبير الحنظلي** ليس بالقوي». انظر: «السنن الكبرىٰ» (١٠/ ٧٠).

الثاني: أخرجه أبو داود، رقم (٣٢٩٠)، والترمذي، رقم (١٥٢٤)، والنسائي، (٧/ ٢٦)، وابن ماجه، رقم (٢١٢٥)، وأحمد (٦/ ٢٤٧) من طريق ابن شهاب، عن أبي سلمة، عن عائشة به. =

الذي فيه الكفارة فيه ضعف.

○ قوله: «**ولهذا لم يقل أحد من أئمتنا المسلمين أن الصلاة عند القبور في مشاهد القبور مستحبة أو فيها فضيلة، ولا أن الصلاة هناك والدعاء أفضل من الصلاة في غير تلك البقعة والدعاء، بل اتفقوا كلهم علىٰ أن الصلاة في المساجد والبيوت أفضل من الصلاة عند القبور ـ قبور الأنبياء والصالحين ـ سواء سميت «مشاهد» أو لم تسم، وقد شرع الله ورسوله في المساجد دون المشاهد أشياء، فقال تعالىٰ:** ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾ [البَقَرَة: ١١٤] **ولم يقل «المشاهد»**» فنحن مأمورون بأن نذكر في المساجد اسم الله ونقرأ فيها القرآن ونصلي فيها، والمشاهد بخلافها؛ فذلك ممنوع كله عندها، «**وقال تعالىٰ:** ﴿وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البَقَرَة: ١٨٧] **ولم يقل «المشاهد»، وقال تعالىٰ:** ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ﴾» أي: بالعدل ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعرَاف: ٢٩]» أي: توجَّهُوا

= قال الترمذي: «هذا حديث لا يصح؛ لأن **الزهري** لم يسمع هذا الحديث من **أبي سلمة**». **وقال النووي**: «هذا الحديث بهذا اللفظ ضعيف **باتفاق المحدثين**». «روضة الطالبين» (٣/ ٣٠٠)، وانظر: شرح النووي علىٰ «صحيح مسلم» (١١/ ١٠١). **وقال ابن حجر**: «ورواته ثقات لكنه معلول؛ فإن **الزهري** رواه عن **أبي سلمة** ثم بيَّن أنه حمله عن سليمان بن أرقم عن يحيىٰ بن أبي كثير عن أبي سلمة فدلسه بإسقاط اثنين، وحسن الظن **بسليمان**، وهو عند غيره **ضعيف باتفاقهم**، وحكىٰ الترمذي عن **البخاري** أنه قال: «لا يصح»، ولكن له شاهد من حديث عمران بن حصين أخرجه النسائي وضعفه». «فتح الباري» (١١/ ٥٨٧).

الثالث: أخرجه أبو داود، رقم (٣٣٢٢)، وابن ماجه، رقم (٢١٢٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

قال ابن الملقن: «وذكر أنه روي موقوفًا علىٰ ابن عباس وإسناده جيد، وأعله **ابن حزم** في «محلاه» فقال: «فيه **طلحة بن يحيىٰ**، وهو حديث ضعيف جدًّا». «البدر المنير» (٩/ ٥٠٠).

إليه في كلِّ صلاة إلىٰ القبلة في أيِّ مسجد كنتم، «وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة: ١٨]» والشاهد فيها قوله ﷺ والعمارة عمارتان، عمارة حسية كبناء المساجد وتطييبها، وعمارة معنوية وهي عمارتها بالطاعة والصلاة والدعاء والذكر وتعلم العلم وتعليمه، «وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨]» وهذا نهي عن دعاء غيره تعالىٰ؛ لأن مَنْ دعا غير الله فقد أشرك، وقوله تعالىٰ: ﴿أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ نكرة في سياق النهي فتعم، «**وقال النبي ﷺ: «صلاة الرجل في المسجد تفضل علىٰ صلاته في بيته وسوقه بخمس وعشرين ضعفًا»**[(١)]» ولم يأتِ فضل في الصلاة عند المشاهد، «**وقال النبي ﷺ: «مَنْ بنىٰ لله مسجدًا بنىٰ الله له بيتًا في الجنة»**[(٢)]» ولم يأتِ في المشاهد أنها تبنىٰ.

ثم بيَّن **المؤلف** رحمه الله حكم الإتيان إلىٰ القبور والتمسح بها، واتخاذها مساجد.

فقال: «**وأما القبور فقد ورد نهيه ﷺ عن اتخاذها مساجد، ولعن الله مَنْ يفعل ذلك**[(٣)]**، وذكره غير واحد من الصحابة والتابعين ـ كما ذكره البخاري في «صحيحه»**[(٤)] **والطبري وغيره في تفاسيرهم**[(٥)]**،**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب «فضل صلاة الجماعة»، رقم (٦٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب «من بنىٰ مسجدًا»، رقم (٤٥٠)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٥٣٣) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) «صحيح البخاري» (٦/ ١٦٠).

(٥) «تفسير الطبري» (٢٩/ ٩٩)، و«تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٢٧).

وذكره وثيمة وغيره في «قصص الأنبياء»[١] ـ في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نُـــــوح: ٢٣] قالوا: «هذه أسماء قوم صالحين كانوا في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا علىٰ قبورهم، ثم طال عليهم الأمد فاتخذوا تماثيلهم أصنامًا»» فهذه أسماء رجال صالحين مِنْ قوم نوح، لما ماتوا حزنوا عليهم فاتخذوا صورهم، ثم عبدوهم مِنْ دون الله، قال الشيطان لهم في أول الأمر: «ادعوا الله عند القبر، وصلوا واقرأ القرآن عنده؛ فهذا موطن إجابة»، ثم تدرج بهم الحال حتىٰ دعاهم إلىٰ أن يعبدوا صاحب القبر ويذبحوا له وينذروا، «وكان العكوف علىٰ القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء عندها وفيها ونحو ذلك هو أصل الشِّرك وعبادة الأوثان، ولهذا قال النبي ﷺ: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد»[٢]».

○ قوله: «ولهذا اتفق العلماء علىٰ أن مَنْ زار قبر النبي ﷺ أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين ـ من الصحابة وأهل البيت وغيرهم ـ فإنه لا يتمسح به، ولا يقبِّله» يعني: مَنْ زار قبر النبي ﷺ لا يقبِّله ولا يتمسح به، بل يقف عنده ويُسلِّمُ عليه، ثم إن شاء أن يدعو الله توجَّه إلىٰ القبلة ودعا.

○ قوله: «بل ليس في الدنيا من الجمادات ما يشرع تقبيله إلَّا الحجر الأسود» فيشرع لمن طاف بالبيت أن يُقبِّلَ الحجر الأسود إن استطاع، فإن لم يستطع مسحه بيده وقبَّلها، فإن لم يستطع أشار إليه بيده وكبَّرَ، «وقد ثبت في «الصحيحين»[٣] أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(١) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (١/ ١٠٥، ١٠٦).
(٢) تقدَّم تخريجه.
(٣) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب «ما ذكر في الحجر الأسود»، رقم (١٥٩٧)، ومسلم، كتاب الحج، رقم (١٢٧٠).

قال: «والله، إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبِّلك ما قبَّلتك»» يبيِّن رضي الله عنه للناس أنه يُقبِّل الحجر لا لكونه يضر أو ينفع، بل تأسيًا بالنبي ﷺ، والله تعالىٰ يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، «ولهذا لا يسن باتفاق الأئمة أن يُقبِّلَ الرجل ويستلم ركني البيت اللذين يليان الحجر» والبيت له أربعة أركان، الركن اليماني، والركن الأسود، ثم يليه الركن الشامي، ثم الركن العراقي، فنحن حين نطوف نستلم ركنين وندع ركنين، **الركن اليماني** يستلم ولا يقبَّل، **والركن الأسود** يستلم ويقبَّل، **والركن الشامي والعراقي** لا يستلمان ولا يقبَّلان؛ لفعل النبي ﷺ، وسبب ذلك أنهما ليسا علىٰ قواعد إبراهيم عليه السلام، «ولا جدران البيت، ولا مقام إبراهيم، ولا صخرة بيت المقدس، ولا قبر أحد من الأنبياء والصالحين، حتىٰ تنازع الفقهاء في وضع اليد علىٰ منبر سيدنا رسول الله ﷺ لما كان موجودًا» وقد أزِيل الآن، «فكرهه مالك[1] وغيره؛ لأنه بدعة، وذكر مالك أنه لما رأىٰ عطاء فعل ذلك» أي: وضع يده عليه «لم يأخذ عنه العلم، ورخَّصَ فيه أحمد وغيره؛ لأن ابن عمر رضي الله عنهما فعله[2]» والصواب القول الأول بأنه لا يشرع، فإذا كان وضع اليد علىٰ منبر رسول الله ﷺ كرهه بعض العلماء فكيف بالتمسح والتقبيل الذي لم يفعله أحد؟!.

---

(١) انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيمية (ص ٣٦٨).

(٢) انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص ٣٦٧).

وقال المؤلف: «وكذلك رخص **أحمد** في التمسح بمقعده من المنبر إتباعًا لابن عمر، وعن **أحمد** في التمسح بالمنبر روايتان:

أشهرهما: أنه مكروه كقول **الجمهور**، وأما **مالك وغيره** من العلماء فيكرهون هذه الأمور وإن فعلها ابن عمر فإن أكابر الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم لم يفعلها». «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٤١٠).

«وأما التمسح بقبر النبي ﷺ وتقبيله فكلهم كره ذلك ونهىٰ عنه؛ وذلك أنهم علموا ما قصده النبي ﷺ مِنْ حسم مادة الشِّرك» ففيه سدٌّ لوسائله، «وتحقيق التوحيد، وإخلاص الدين لله رب العالمين».

○ قوله: «وهذا مما يظهر به الفرق بين سؤال النبي ﷺ والرجل الصالح في حياته» فالحي الحاضر أمامك، ولا مانع أن تسأله ما يستطيعه، كأن تقول له: «اقض ديني» أو «أعني في إصلاح مزرعتي»، لكن لا تطلب منه ما لا يقدر عليه إلَّا الله، فلا تقل له: «نجني من النار»؛ فهذا لا يقدر عليه إلا الله، وطلبه مِنْ غيره شرك، وأما الميت فلا يجوز سؤاله؛ لأنه قد انقطع عمله، فلا يقال له: «نجني من كربتي» أو «من الغرق» أو «أقرضني مالًا» أو «انصرني علىٰ عدوي» فهذا شرك، وكذا للغائب، إلَّا إذا كان في حكم الحاضر، لكن الغائب الذي لا يمكن أن يسمعه فلا يدعىٰ ولا يطلب منه شيء، «وبين سؤاله بعد موته وفي مغيبه، وذلك أنه في حياته لا يعبده أحد بحضوره» فلا يمكن لأحد أن يعبد الرسول ﷺ في حياته أو يصرف له أي نوع مِنْ أنواع العبادة؛ فإنه يمنعه وينهره، «فإذا كان الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه والصالحون أحياء لا يتركون أحدًا يشرك بهم بحضورهم، بل ينهونهم عن ذلك ويعاقبونهم عليه، ولهذا قال المسيح عليه السلام: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٧]، وقال رجل للنبي ﷺ: «ما شاء الله وشئت»، فقال: «أجعلتني لله ندًّا ؟!»؛ لأنه شَرَكَهُ مع الله في المشيئة، فالواو تفيد التشريك والعطف، «قل: «ما شاء الله وحده»»[1]، وقال:

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الكفارات، باب «النهي أن يقال: «ما شاء الله وشئت»»، رقم (٢١١٧)، وأحمد (١/ ٢١٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. =

«لا تقولوا «ما شاء الله وشاء محمد»، ولكن قولوا «ما شاء الله ثم شاء محمد»[(١)]» فتعطف مشيئة المخلوق علىٰ مشيئة الخالق بـ «ثم» وهي تفيد الترتيب والتراخي بمهلة، ولكن الأفضل أن تقول: «ما شاء الله وحده»، فالأحوال ثلاثة:

الأولىٰ: أن تقول «ما شاء الله وشئت» بالواو، فهذا شرك أصغر؛ لأن الواو تفيد تشريك المعطوف علىٰ المعطوف عليه.

الثانية: أن يعطف بـ «ثم» فيقول: «ما شاء الله ثم شئت»، وهذا جائز؛ لأن مشيئة المخلوق تأتي بعد مشيئة الخالق بترتيب وتراخي.

الثالثة: أن تقول: «ما شاء الله وحده»، وهذا أكمل.

○ قوله: «**ولما قالت الجويرية**» أي: الجارية: «**وفينا نبي الله يعلم ما في غد**»» يعني: يعلم الغيب، فأنكر ﷺ عليها «**قال: «دعي هذا، وقولي بالذي كنت تقولين**»[(٢)]، **وقال: «لا تطروني كما أطرت النصارىٰ عيسىٰ بن مريم**» والإطراء مجاوزة الحدِّ في المدح؛ «**فإنما**

= **قال البوصيري**: «هذا اسناد فيه **الأجلح بن عبد الله** مختلف فيه، ضعفه **أحمد وأبو حاتم والنسائي وأبو داود وابن مسعد**، ووثقه **ابن معين والعجلي ويعقوب ابن سفيان**، وباقي رجال الإسناد ثقات». «مصباح الزجاجة» (٢/ ١٣٦).

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الكفارات، باب «النهي أن يقال: «ما شاء الله وشئت»»، رقم (٢١١٨)، وأحمد (٥/ ٣٩٣) من طريق سفيان بن عيينة، عن عبد الملك بن عمير، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.
قال البوصيري: «هذا اسناد رجاله ثقات علىٰ شرط البخاري، لكنه منقطع بين **سفيان** وبين **عبد الملك بن عمير**». «مصباح الزجاجة» (٢/ ١٣٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب «ضرب الدف في النكاح والوليمة»، رقم (٥١٤٧) من حديث الربيع بنت معوذ رضي الله عنها.

أنا عبد، فقولوا «عبد الله ورسوله»»[١]، ولما صلوا خلفه قيامًا قال: «لا تعظموني كما يعظم الأعاجم بعضهم بعضًا»[٢]، وقال أنس رضي الله عنه: «لم يكن شخص أحب إليهم مِنْ رسول الله ﷺ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له؛ لما يعلمون مِنْ كراهته لذلك»[٣]، ولما سجد له معاذ» سجود تحية «نهاه» وأنكر عليه «وقال: «إنه لا يصلح السجود إلَّا لله رب العالمين، ولو كنت آمرا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها؛ مِنْ عظم حقِّهِ عليها»[٤] فالحي الحاضر ـ وهو النبي ﷺ ينكر الشِّرك ولا يقبله، ولكن الميت لا حيلة له، وفيه دليل علىٰ عظم حقِّ الزوج، «ولما أُتي علي بالزنادقة الذين غلوا واعتقدوا فيه الإلهية أمر بتحريقهم بالنار[٥]» غلا في علي رضي الله عنه **بعض**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب «﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مَرِيَم: ١٦]»، رقم (٣٤٤٥) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) في «صحيح مسلم»، كتاب الصلاة، رقم (٤١٣) عَنْ جَابِرٍ قَالَ: اشْتَكَىٰ رَسُولُ اللَّهِ؟ فَصَلَّيْنَا وَرَاءَهُ وَهُوَ قَاعِدٌ وَأَبُو بَكْرٍ يُسْمِعُ النَّاسَ تَكْبِيرَهُ، فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا فَرَآنَا قِيَامًا فَأَشَارَ إِلَيْنَا فَقَعَدْنَا فَصَلَّيْنَا بِصَلَاتِهِ قُعُودًا، فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ: «**إِنْ كِدْتُمْ آنِفًا لَتَفْعَلُونَ فِعْلَ فَارِسَ وَالرُّومِ يَقُومُونَ عَلَىٰ مُلُوكِهِمْ وَهُمْ قُعُودٌ، فَلَا تَفْعَلُوا، ائْتَمُّوا بِأَئِمَّتِكُمْ، إِنْ صَلَّىٰ قَائِمًا فَصَلُّوا قِيَامًا، وَإِنْ صَلَّىٰ قَاعِدًا فَصَلُّوا قُعُودًا**».

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب الأدب، باب «ما جاء من كراهة قيام الرجل للرجل»، رقم (٢٧٥٤)، وأحمد (٣/ ٢٥٠). **قال الترمذي**: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه»

(٤) أخرجه ابن ماجه، كتاب النكاح، باب «حق الزوج علىٰ المرأة»، رقم (١٨٥٣)، وأحمد (٤/ ٣٨١) من حديث عبد الله بن أبي أوفىٰ رضي الله عنه. **قال الهيثمي**: «رواه بتمامه البزار وأحمد باختصار، ورجاله رجال الصحيح». «مجمع الزوائد» (٤/ ٣٠٩)

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب «لا يعذب بعذاب الله»، رقم (٣٠١٧).

السبائية، وقالوا : «إنه الإله»، فاستتابهم فلم يتوبوا، فخدَّ لهم أخاديد وأضرمها نارًا وألقاهم فيها، وأنكر عليه ابن عباس رضي الله عنهما التعذيب بالنار، واحتج عليه بالنهي[1]، ويحتمل أنه خفي علىٰ علي رضي الله عنه النصُّ، «فهذا شأن أنبياء الله وأوليائه» أنهم ينكرون علىٰ أهل الشِّرك والبدع والغلاة، «وإنما يقر علىٰ الغلو فيه وتعظيمه بغير حقٍّ مَنْ يريد عُلوًّا في الأرض وفسادًا كفرعون ونحوه ومشايخ الضلالة الذين غرضهم العلو في الأرض، والفساد، والفتنة بالأنبياء والصالحين، واتخاذهم أربابًا، والإشراك بهم مما يحصل في مغيبهم وفي مماتهم كما أشرك بالمسيح وعزير، فهذا مما يبيِّنُ الفرق بين سؤال النبي ﷺ والصالح في حياته وحضوره وبين سؤاله في مماته ومغيبه، ولهذا لم يكن أحد من سلف الأمة لا في عصر الصحابة ولا التابعين ولا تابع التابعين يتحرون الصلاة والدعاء عند قبور الأنبياء والصالحين، ولا يسألونهم، ولا يستغيثون بهم لا في مغيبهم ولا عند قبورهم، وكذلك العكوف».

○ قوله: «ومِنْ أعظم الشِّرك: أن يستغيث الرجل برجل ميت أو غائب كما ذكره السائل» وهذا جواب **السؤال الثالث** من الأسئلة السبعة التي وجهت **للمؤلف** رحمه الله، وهو «**وفيمن يستغيث بشيخه إذا أصابته نائبة أو سمع حسًّا خلفه أزعجه استغاث بشيخه يطلب تثبيت قلبه من ذلك الواقع**»، وهذا شرك ورِدَّة، «ويستغيث به عند المصائب يقول : «يا سيدي فلان» كأنه يطلب منه إزالة ضرره أو جلب نفعه، وهذا حال النصارىٰ في المسيح وأمه وأحبارهم ورهبانهم» حينما عبدوهم «ومعلوم أن خير الخلق وأكرمهم علىٰ الله نبينا محمد ﷺ،

(١) انظر الحديث السابق.

وأعلم الناس بحقه وقدره أصحابه، ولم يكونوا يفعلون شيئًا من ذلك» فلم يتوسلوا به ﷺ ولا تمسحوا بقبره «لا في مغيبه ولا بعد مماته».

○ قوله: «**وهؤلاء المشركون يضمون إلىٰ الشِّرك الكذب؛ فإن الكذب مقرون بالشِّرك، وقد قال تعالىٰ:** ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ [الحج: ٣٠-٣١]» فقرن قول الزور ـ الذي هو الكذب ـ بعبادة الأوثان، «**وقال النبي ﷺ: «عدلت شهادة الزور الإشراك بالله»** مرتين أو ثلاثًا[(١)]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأعراف: ١٥٢]» وهذا هو الشاهد، فكلُّ مشرك مفتر، «**وقال الخليل** عليه السلام: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الصافات: ٨٦-٨٧]» والإفك أسوأ الكذب، فالذين عبدوا الأصنام أفَّاكون كذَّابون لزعمهم أنها تستحق العبادة، «**فمن كذبهم أن أحدهم يقول عن شيخه: «إن المريد إذا كان بالمغرب وشيخه بالمشرق وانكشف غطاؤه رَدَّهُ عليه»** وهذا مِنْ كذب **الصوفية**، فيزعم **المريد الصوفي** أنه إذا كان بالمغرب وشيخه بالمشرق وانكشف غطاء رأس **المريد** أن **الشيخ** يعلم بذلك فيرده

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأقضية، باب «في شهادة الزور»، رقم (٣٥٩٩)، والترمذي، كتاب الشهادات، باب «ما جاء في شهادة الزور»، رقم (٢٣٠٠)، وابن ماجه، كتاب الأحكام، باب «شهادة الزور»، رقم (٢٣٧٢)، وأحمد (٤/ ٣٢١) من حديث خريم بن فاتك رضي الله عنه.
قال ابن الملقن: «ورجال إسناده كلهم محتج بهم في الصحيح، إلا **حبيب بن النعمان الأسدي**، فلم يرو له إلَّا (أبو داود وابن ماجه)، ولا أعرف من جرحه ولا من عدله، **وقال ابن القطان** في «علله»: «لا يعرف بغير هذا الحديث، ولا يعرف حاله»». «البدر المنير» (٩/ ٥٧٦، ٥٧٧). **وقال ابن حجر**: «إسناده مجهول». «التلخيص الحبير» (٤/ ١٩٠).

عليه، وهذا مِنْ أصرح الكذب؛ فالآدمي قدرته محدودة، وليس عندهم آنذاك وسائل الاتصال الحديثة التي تمكنه مِنْ معرفة حال **المريد**، ولو كانت فلا يستطيع ردَّ ما ذهب منه، «**وإن الشيخ إن لم يكن كذلك لم يكن شيخًا**»، «**وقد تغويهم الشياطين كما تغوي عُبَّادَ الأصنام كما كان يجري للعرب في أصنامها**» فكانت الشياطين تدخل في العزىٰ ـ وهي شجيرات ـ كانت تعبدها قريش ومن علىٰ شاكلتهم، وتكلم الناس ويسمعون منها الصوت فيظنون أنها العزىٰ «**ولعُبَّادِ الكواكب وطلاسمها من أهل الشِّرك والسحر كما يجري للتتار والهنود والسودان وغيرهم مِنْ أصناف المشركين مِنْ إغواء الشياطين لهم ومخاطبتهم ونحو ذلك، فكثير مِنْ هؤلاء قد يجري له نوع مِنْ ذلك**» فتساعدهم الشياطين، وقد تقضي حوائجهم؛ لتغويهم ويستمروا علىٰ شركهم «**لا سيما عند سماع المكاء والتصدية؛ فإن الشياطين قد تنزل عليهم**» والمكاء هو الصفير، والتصدية هو التصفيق، فإذا كان هناك غناء أو صفير أو طبل تشجعت الشياطين وزاد نفوذها وتسلطها، وتجد الآن في الحفلات والمناسبات ـ حتىٰ في بعض المخيمات الدينية ـ التشبه بالمشركين وأهل البدع بإظهار التصفيق والصفير عند الإعجاب، والواجب علىٰ الإنسان إذا أعجبه شيء أن يُكبِّرَ أو يُسبِّحَ، فالشياطين تتمكن مِنْ إغواء أهل البدع عند التصفيق والصفير؛ لأنه يناسبها، وأما إذا ذكرت الله فتسقط ويبطل سحرها وإغواؤها، وكذا يقوىٰ الساحر مع الغناء والطبل والمزمار والصفير والتصفيق «**وقد يصيب أحدهم كما يصيب المصروع من الإرغاء والإزباد والصياح المنكر، وتكلمه بما لا يعقل هو والحاضرون، وأمثال ذلك مما يمكن وقوعه في هؤلاء الضالين**» وهذا مشاهد، فعند وقوع ما يسمىٰ بـ «الزار» ـ وهو تلبس الجان بالإنس ـ إذا حصل

غناء أو طبل أو منكر آخر يكثر سقوط مرضىٰ آخرين وتلبس الجان بهم فيهذون بكلام لا يعقل، وربما صاح أحدهم وأرغىٰ وأزبد، والسبب في ذلك تلبس الشياطين واستقواؤها عليهم بما يقع من غناء وطبل ومنكر.

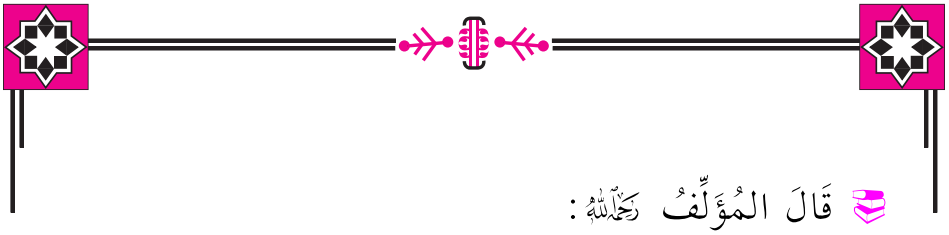

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وأما القسم الثالث وهو أن يقول: «اللهم بجاه فلان عندك»، أو «ببركة فلان عندك»، أو «بحرمة فلان عندك افعل لي كذا وكذا»، فهو يفعله كثير من الناس، لكن لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين وسلف الأمة أنهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء، ولم يبلغني عن أحد من العلماء في ذلك ما أحكيه، إلَّا ما رأيت في فتاوىٰ الفقيه أبي محمد بن عبد السلام فإنه أفتىٰ بأنه لا يجوز لأحد أن يفعل ذلك، إلَّا للنبي ﷺ - إن صح الحديث في النبي ﷺ -، ومعنىٰ هذا الاستثناء: أنه قد روىٰ النسائي والترمذي وغيرهما أن النبي ﷺ عَلَّمَ بعض أصحابه أن يدعو فيقول: «اللهم إني أسألك وأتوسل إليك بنبيك نبي الرحمة، يا محمد يا رسول الله، إني أتوسل بك إلىٰ ربي في حاجتي ليقضيها لي، اللهم فشفِّعه فيَّ»، فإن هذا الحديث قد استدل به طائفة علىٰ جواز التوسل بالنبي ﷺ في حياته وبعد مماته، قالوا: «وليس في التوسل به دعاء للمخلوق ولا استغاثة بالمخلوق، وإنما هو دعاء واستغاثة بالله، لكن فيه سؤال بجاهه»، كما في «سنن ابن ماجه» عن النبي ﷺ أنه ذكر في دعاء الخارج إلىٰ الصلاة أن يقول: «اللهم إني أسألك بحقِّ السائلين عليك، وبحقِّ ممشاي هذا، فإني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا رياء ولا سمعة، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، أسألك أن تنقذني من النار، وأن تغفر لي ذنوبي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»، وقالوا: ففي هذا الحديث أنه سأل بحقِّ السائلين عليه وبحقِّ ممشاه إلىٰ الصلاة،

والله تعالىٰ قد جعل علىٰ نفسه حقًّا، قال الله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الرُّوم: ٤٧]، ونحو قوله تعالىٰ: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾ [الفُرقان: ١٦]، وفي «الصحيحين» عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال له: «يا معاذ، أتدري ما حق الله علىٰ العباد؟»، قال: «الله ورسوله أعلم»، قال: «حق الله علىٰ العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، أتدري ما حق العباد علىٰ الله إذا فعلوا ذلك؟، فإن حقهم عليه أن لا يعذبهم»، وقد جاء في غير حديث «كان حقًّا علىٰ الله كذا وكذا» كقوله «مَنْ شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين يومًا، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد وشربها في الثالثة أو الرابعة كان حقًّا علىٰ الله أن يسقيه مِنْ طينة الخبال»، قيل: «يا رسول الله، وما طينة الخبال؟»، قال: «عصارة أهل النار في النار»، وأمثال ذلك كثيرة.

وقالت طائفة: ليس في هذا الحديث جواز التوسل به بعد مماته وفي مغيبه، بل إنما فيه التوسل في حياته بحضوره كما في «صحيح البخاري» أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقىٰ بالعباس فقال: «اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا» فيسقون، وقد بيَّن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنهم كانوا يتوسلون به في حياته فيسقون، وذلك التوسل به أنهم كانوا يسألونه أن يدعو لهم الله فيدعو لهم ويدعون معه فيتوسلون بشفاعته ودعائه كما في «الصحيحين» عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلًا دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان بجوار دار القضاء ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبل رسول الله ﷺ قائمًا، ثم قال: «يا رسول الله، هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله ﷻ أن يغيثنا»، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: «اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم

أغثنا»، قال أنس: «ولا والله ما نرىٰ في السماء مِنْ سحاب ولا قزعة، وما بيننا وبين سلع مِنْ بيت ولا دار»، قال: «فطلعت مِنْ ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت، فلا والله ما رأينا الشمس سبتًا»، قال: ثم دخل رجل مِنْ ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبله قائمًا، فقال: «يا رسول الله، هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله أن يمسكها عنا»، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: «اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم علىٰ الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر»، فقال: «وأقلعت، وخرجنا نمشي في الشمس»، ففي هذا الحديث: أنه قال: «ادع الله أن يمسكها عنا»، وفي «الصحيح» أن عبد الله بن عمر قال: «إني لأذكر قول أبي طالب فيه عليه الصَّلاة والسَّلام:

وأبيضُ يُستسقىٰ الغمام بوجهه ثمال اليتامىٰ عصمة للأرامل

فهذا كان توسلهم به في الاستسقاء ونحوه، ولما مات توسلوا بالعباس رضي الله عنه كما كانوا يتوسلون به ويستسقون، ولم يتوسلوا به، وما كانوا يستسقون به بعد موته ولا في مغيبه ولا عند قبره ولا عند قبر غيره، وكذلك معاوية بن أبي سفيان استسقىٰ بيزيد بن الأسود الجرشي، وقال: «اللهم إنا نستشفع إليك بخيارنا، يا يزيد، ارفع يديك إلىٰ الله» فرفع يديه ودعا ودعوا فسقوا، ولذلك قال العلماء: يستحب أن يستسقىٰ بأهل الصلاح والخير، فإذا كانوا مِنْ أهل بيت رسول الله كان أحسن.

ولم يذكر أحد من العلماء أنه يشرع التوسل والاستسقاء بالنبي والصالح بعد موته ولا في مغيبه، ولا استحبوا ذلك لا في الاستسقاء ولا في الاستنصار ولا غير ذلك من الأدعية، والدعاء مخ العبادة، والعبادة مبناها علىٰ السنة والاتباع لا علىٰ الأهواء

والابتداع، وإنما يعبد الله بما شرع ولا يعبد بالأهواء والبدع، قال الله ﷻ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورى: ٢١]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٥٥﴾ [الأعراف: ٥٥]، وقال النبي ﷺ: «إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الدعاء والطهور»».

الشَّرح

ذكر **المؤلف** رحمه الله القسمين الأولين، والآن يذكر **الثالث**، وهو أن يسأل الله بجاه فلان أو ببركته.

قال: **«وأما القسم الثالث وهو أن يقول: «اللهم بجاه فلان عندك»، أو «ببركة فلان عندك»، أو «بحرمة فلان عندك افعل لي كذا وكذا»»** كقوله «اغفر لي» أو «ارحمني»، وهذا لا شك أنه بدعة ولا يكون شركًا؛ لأنه ما دعا غير الله، وإنما دعا الله، وابتدع وسيلة لم يأذن بها الشرع؛ فالتوسل يكون بأسماء الله وصفاته وبإيمان العبد وعمله الصالح كما في «الصحيحين»(١) في قصة أصحاب الغار الثلاثة، وفيه: «**إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ**»، فتوسل الأول ببره بوالديه، والثاني بعفته عن الزنا، والثالث بأمانته وإعطائه الناس حقوقهم فانفرجت الصخرة، وهذا توسل بالعمل الصالح.

ومن المشروع أيضًا: التوسل بحاجة العبد وفقره كقول الله تعالىٰ عن موسىٰ عليه السلام: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإجارة، باب «من استأجر أجيرًا فترك الأجير أجره فعمل فيه المستأجر فزاد، أو من عمل في مال غيره فاستفضل»، رقم (٢٢٧٢)، ومسلم، كتاب الرقاق، رقم (٢٧٤٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ [القَصَص: ٢٤]، وأما التوسل بجاه فلان أو حرمته فليست من الأسباب المشروعة التي جعلها الشارع سببًا لإجابة الدعاء، وليست شركًا؛ لأنه لم يدع مخلوقًا، بل دعا الخالق متوسلًا بذات مخلوق أو جاهه.

وعليه، فالأقسام ثلاثة:

الأول: أن يسأل الميت ما لا يقدر عليه إلَّا الله كمغفرة الذنوب ودخول الجنة، وهذا **شرك باتفاقٍ**.

الثاني: أن يسأل الميت أن يسأل الله له، وهذا مختلف فيه، **قيل**: إنه شرك، وهو **الصواب**، **وقيل**: بدعة.

الثالث: أن يسأل الله ولكن يتوسل بوسيلة مبتدعة كجاه فلان وحرمته، وهذا بدعة.

○ قوله: «**فهو يفعله كثير من الناس**» الجهَّال، «**لكن لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين وسلف الأمة أنهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء**»؛ لأن هؤلاء أهل البصيرة فلا يتوسلون بوسيلة مبتدعة، «**ولم يبلغني عن أحد من العلماء في ذلك**» بأنه دعا بذلك «**ما أحكيه، إلَّا ما رأيت في فتاوىٰ الفقيه أبي محمد بن عبد السلام**[1] **فإنه أفتىٰ بأنه لا يجوز لأحد أن يفعل ذلك، إلَّا للنبي ﷺ**» يقول: ما علمت أحدًا يتوسل مثلًا بذات فلان، أو بحرمة فلان، أو بجاه فلان، لا من الصحابة ولا التابعين ولا سلف الأئمة، إلَّا ما ذكره **العز بن عبد السلام** رَحِمَهُ اللَّهُ، فإنه قال: يجوز أن يتوسل بذات النبي ﷺ خاصَّة «**ـ إن صح الحديث في النبي ﷺ ـ، ومعنىٰ هذا الاستثناء: أنه قد روىٰ النسائي والترمذي وغيرهما أن النبي ﷺ عَلَّمَ بعض أصحابه**

(١) «الفتاوىٰ» للعز بن عبد السلام (ص ١٢٦، ١٢٧).

أن يدعو فيقول: «اللهم إني أسألك وأتوسل إليك بنبيك نبي الرحمة، يا محمد يا رسول الله، إني أتوسل بك إلىٰ ربي في حاجتي ليقضيها لي، اللهم فشفِّعه فيَّ»[(١)]» يعني: اقبل شفاعته ودعاءه، فقبل الله شفاعته ﷺ ودعاءه.

والحديث صحيح، لكن ليس فيه أن يُتوسل بذات النبي ﷺ، فعَنْ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ أَنَّ رَجُلًا ضَرِيرَ الْبَصَرِ أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنِي»، قَالَ: «**إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ، وَإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**»، قَالَ: «فَادْعُهْ»، قَالَ: فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ، وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَىٰ رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ لِتُقْضَىٰ لِيَ، اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ»، فليس فيه توسل بذات النبي ﷺ، بل توسل بدعائه ﷺ وهو حي حاضر.

وأجاز **العز بن عبد السلام** رحمه الله التوسل بجاه النبي ﷺ خاصة إن صح الحديث، والحديث صح، لكن لا يدل لما استدل به؛ بل يدل علىٰ توسل الأعمىٰ بدعاء الحي الحاضر وهو النبي ﷺ.

○ قوله: «فإن هذا الحديث قد استدل به طائفة علىٰ جواز التوسل بالنبي ﷺ في حياته وبعد مماته» وهذا غير سديد، «قالوا: «وليس في التوسل به دعاء للمخلوق ولا استغاثة بالمخلوق، وإنما هو دعاء واستغاثة بالله، لكن فيه سؤال بجاهه»» واستغاثه متبركًا

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب (١١٩)، رقم (٣٥٧٨)، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب «ما جاء في صلاة الحاجة»، رقم (١٣٨٥)، وأحمد (٤/١٣٨) من حديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه. **قال الترمذي**: «حديث حسن صحيح». **وقال الحاكم**: «هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين، ولم يخرجاه». «المستدرك» (١/٤٥٨).

بجاهه «كما في «سنن ابن ماجه»[(١)] عن النبي ﷺ أنه ذكر في دعاء الخارج إلىٰ الصلاة أن يقول: «اللهم إني أسألك بحقِّ السائلين عليك، وبحقِّ ممشاي هذا، فإني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا رياء ولا سمعة، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، أسألك أن تنقذني من النار، وأن تغفر لي ذنوبي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»» وهذا الحديث ضعَّفه **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ في «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة»[(٢)]، «وقالوا: ففي هذا الحديث أنه سأل بحقِّ السائلين عليه» قالوا: هذا توسل بحقِّ السائلين، أي: حرمتهم «وبحقِّ ممشاه إلىٰ الصلاة، والله تعالىٰ قد جعل علىٰ نفسه حقًّا، قال الله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الرُّوم: ٤٧]، ونحو قوله تعالىٰ: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾ [الفُرقان: ١٦]» قالوا: قوله في الحديث «**أسألك بحق السائلين**»من هذه الباب.

ويجاب عنه بأجوبة:

الأول: أنه حديث ضعيف.

الثاني: أنه لا يصح الاستدلال به؛ فليس فيه سؤال بجاه

---

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب المساجد والجماعات، باب «المشي إلىٰ الصلاة»، رقم (٧٧٨)، وأحمد (٣/ ٢١) من طريق الفضل بن الموفق أبو الجهم، حدثنا فضيل بن مرزوق، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري به.
قال البوصيري: «هذا إسناد مسلسل بالضعفاء، **عطية** هو العوفي، **وفضيل بن مرزوق والفضل بن الموقف** كلهم ضعفاء». «مصباح الزجاجة» (١/ ٩٨)
وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٢٥) رقم (٢٩٢٠٢) عن أبي سعيد الخدري موقوفًا. **قال أبو حاتم**: «موقوف أشبه». «علل الحديث» (٢/ ١٨٤) رقم (٢٠٤٨).

(٢) «التوسل والوسيلة» (ص ١٠٧).

النبي ﷺ ولا غيره، فقوله «**أسألك بحقِّ السائلين**» أي: الإجابة، وكذا حق الممشىٰ الإجابة والثواب، فهو حقٌّ لم يوجبه عليه خلقه، وإنما أوجبه هو سبحانه كرمًا منه وتفضلًا، فالإجابة والإثابة من أفعال الله، وليس فيه توسل بحقِّ فلان.

○ قوله: «**وفي «الصحيحين»[١] عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال له: «يا معاذ، أتدري ما حق الله علىٰ العباد؟»، قال: «الله ورسوله أعلم»» وهذا يقال في حياته، أما بعد مماته فيقال: «الله أعلم»، «قال: «حق الله علىٰ العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، أتدري ما حق العباد علىٰ الله إذا فعلوا ذلك؟، فإن حقهم عليه أن لا يعذبهم»**» والشاهد قوله: «**ما حق العباد....**»، فهو حقٌّ أوجبه الله علىٰ نفسه.

وهناك فرق بين الحقين، حق الله وهو العبادة وحق المخلوق ألَّا يعذبهم، **قال العلماء**: حقُّ الله علىٰ العباد حق إلزام وإيجاب، فليس للعبد فيه اختيار، أما حق العباد علىٰ الله فهو حق تفضل وإكرام كما قال الناظم:

ما للعباد عليه حق واجب ... كلا ولا سعي لديه ضائع
إن عذبوا فبعدله أو نعموا ... فبفضله وهو الكريم الواسع[٢]

○ قوله: «**وقد جاء في غير حديث «كان حقًّا علىٰ الله كذا وكذا» كقوله «مَنْ شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين يومًا، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد وشربها في الثالثة أو الرابعة كان حقًّا**

(١) أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب «من أجاب بلبيك وسعديك»، رقم (٦٢٦٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (٣٠).

(٢) انظر: «مدارج السالكين» لابن القيم (٢/ ٣٣٩).

على الله أن يسقيه مِنْ طينة الخبال»، قيل : «يا رسول الله، وما طينة الخبال؟»، قال : «عصارة أهل النار في النار»[١]، وأمثال ذلك كثيرة.

○ قوله: «وقالت طائفة : ليس في هذا الحديث جواز التوسل به بعد مماته وفي مغيبه، بل إنما فيه التوسل في حياته بحضوره كما في «صحيح البخاري»[٢] أن عمر بن الخطاب ﷺ استسقى بالعباس فقال : «اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فأسقنا» فيسقون، وقد بيَّن عمر بن الخطاب ﷺ أنهم كانوا يتوسلون به في حياته فيسقون، وذلك التوسل به أنهم كانوا يسألونه أن يدعو لهم الله فيدعو لهم ويدعون معه فيتوسلون بشفاعته ودعائه» **فالصواب** في حديث الأعمى أنه توسل بدعائه في حياته، ومما يؤكد ذلك : توسل عمر بالعباس، وتوسل معاوية بيزيد الجرشي[٣]، فلو كان التوسل به ﷺ بعد موته جائزًا لما عدل الصحابة عنه إلى العباس ويزيد.

○ قوله: «كما في «الصحيحين»[٤] عن أنس بن مالك ﷺ أن رجلًا دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان بجوار دار القضاء ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبل» أي: هذا الرجل «رسول الله

---

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب «من شرب الخمر لم تقبل له صلاة»، رقم (٣٣٧٧)، والنسائي، كتاب الأشربة، باب «توبة شارب الخمر»، (٨/ ٣١٧)، وأحمد (٢/ ١٧٦) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ.

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الاستسقاء، باب «الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة»، رقم (١٠١٤)، ومسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، رقم (٨٩٧).

ﷺ قائمًا، ثم قال: «يا رسول الله، هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله ﷻ أن يغيثنا»، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: «اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا»» فاستجاب الله تعالىٰ لدعاء نبيه ﷺ في الحال، «قال أنس: «ولا والله ما نرىٰ في السماء مِنْ سحاب ولا قزعة» قد كانت السماء صافية «وما بيننا وبين سلع» وهو جبل بقرب المدينة «مِنْ بيت ولا دار»، قال: «فطلعت مِنْ ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت، فلا والله ما رأينا الشمس سبتًا»» أي: أسبوعًا، «قال: ثم دخل رجل مِنْ ذلك الباب في الجمعة المقبلة» **قيل**: إنه الرجل الأول، **وقيل**: غيره، «ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبله قائمًا، فقال: «يا رسول الله، هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله أن يمسكها عنا»، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: «اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم علىٰ الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر»، فقال: «وأقلعت، وخرجنا نمشي في الشمس»، ففي هذا الحديث: أنه قال: «ادع الله أن يمسكها عنا»» ففي هذا الحديث توسل بدعاء الحي، وكذا حديث الأعمىٰ هو مِنْ جنسه.

○ قوله: «وفي «الصحيح»[1] أن عبد الله بن عمر قال: «إني لأذكر قول أبي طالب فيه عليه الصَّلاة والسَّلام:

وأبيضُ يُستسقىٰ الغمام بوجهه ثمال اليتامىٰ عصمة للأرامل»

وقد مات أبو طالب عم النبي ﷺ علىٰ الشِّرك، وكان يحوط النبي ﷺ ويذود عنه، وحرص ﷺ علىٰ هدايته وطلب منه لما حضره

(١) أخرجه البخاري، كتاب الاستسقاء، باب «سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا»، رقم (١٠٠٨).

الموت أن يقول «لا إله إلا الله» فلم يقلها، وكان آخر ما قال: «عَلَىٰ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْهُ**»، **فَنَزَلَتْ** ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣]، وَنَزَلَتْ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦][(١)]، فقال قصيدة لما تمادت قريش في ظلم النبي ﷺ، وذكرها ابن هشام في «السيرة»[(٢)]، ومنها هذا البيت.

يقول: «**وأبيض يستسقىٰ الغمام بوجهه**»، والشاهد «يستسقىٰ» يعني: إذا دعا الله، «**فهذا كان توسلهم به**» أي: بدعائه، لا بذاته أو حرمته «**في الاستسقاء ونحوه**».

○ قوله: «**ولما مات توسلوا بالعباس رضي الله عنه**[(٣)]» عم النبي ﷺ؛ لأنه من آل البيت وأقرب الناس إلىٰ النبي ﷺ، فمن محبة الصحابة للنبي ﷺ توسلوا بدعاء الصالح من أهل بيته «**كما كانوا يتوسلون به ويستسقون، ولم يتوسلوا به، وما كانوا يستسقون به بعد موته ولا في مغيبه ولا عند قبره ولا عند قبر غيره، وكذلك معاوية بن أبي سفيان استسقىٰ بيزيد بن الأسود الجرشي**» وهو من سادات التابعين بالشام[(٤)]، «**وقال: «اللهم إنا نستشفع إليك بخيارنا، يا يزيد، ارفع يديك إلىٰ الله» فرفع يديه ودعا ودعوا فسقوا**[(٥)]، **ولذلك قال**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب «قصة أبي طالب»، رقم (٣٨٨٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (٢٤).
(٢) «سيرة ابن هشام» (١/ ٢٧٢ ـ ٢٨٠).
(٣) تقدَّم تخريجه.
(٤) ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٤/ ١٣٦، ١٣٧).
(٥) تقدَّم تخريجه.

العلماء: يستحب أن يستسقىٰ بأهل الصلاح والخير» فيستحب أن يتوسل إلىٰ الله بدعائهم عند طلب السقيا من الله، فيدعون الله والناس يؤمِّنُون، **«فإذا كانوا مِنْ أهل بيت رسول الله ﷺ كان أحسن»**؛ لصلاحهم وقرابتهم من رسول الله ﷺ، ولو استسقىٰ بتقي مِنْ غيرهم ساغ، كما فعل معاوية بيزيد بن الأسود، وتقدَّم.

○ قوله: **«ولم يذكر أحد من العلماء أنه يشرع التوسل والاستسقاء بالنبي والصالح بعد موته ولا في مغيبه، ولا استحبوا ذلك لا في الاستسقاء ولا في الاستنصار ولا غير ذلك من الأدعية، والدعاء مخ العبادة»** هذا لفظ حديث مرفوع رواه الترمذي[١] ولا يصح، واللفظ الصحيح **«الدعاء هو العبادة»**[٢]، **«والعبادة مبناها علىٰ السنة والاتباع لا علىٰ الأهواء والابتداع، وإنما يعبد الله بما شرع ولا يعبد بالأهواء والبدع»** وهذه قاعدة مهمة وجمل عظيمة، فالعبادة مبناها علىٰ السنة والاتباع لا الهوىٰ والابتداع، والدليل علىٰ ذلك: **«قال الله ﷻ:** ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الدعاء، باب «ما جاء في فضل الدعاء»، رقم (٣٣٧١).
قال الترمذي: «هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه، إلَّا من حديث **ابن لهيعة**».

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب «الدعاء»، رقم (١٤٧٩)، والترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب «ومن سورة البقرة»، رقم (٢٩٦٩)، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب «فضل الدعاء»، رقم (٣٨٢٨)، وأحمد (٤/ ٢٦٧) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه. **قال الترمذي**: «حسن صحيح». **وقال الحاكم**: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». «المستدرك» (١/ ٦٦٧) وصححه **النووي** في «الأذكار» (ص ٣٠٩) رقم (١١٦١). **وقال ابن حجر**: «أخرجه أصحاب السنن بسند جيد». «فتح الباري» (١/ ٤٩).

ٱللَّهَ﴾ [الشورىٰ: ٢١]» فأنكر علىٰ مَنْ شرع مِنَ الدين بالهوىٰ، «**وقال تعالىٰ**: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف: ٥٥]» وإذا ابتدع بدعة فإن هذا من العدوان، «**وقال النبي ﷺ: «إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الدعاء**» يعني: يتجاوزون الحد المشروع في الدعاء، فيدعون بدعاء غير مشروع، إما في ذاته أو هيئته، ولهذا قال: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ كأن يقول: «اللهم أعطني منزلة الأنبياء»، ومن العدوان: أن يدعو بإثم أو قطيعة رحم، أو يرفع صوته بالدعاء ويصرخ به، وبالجملة فكل مخالفة في ذات الدعاء أو صفته فهو من التعدي في الدعاء «**والطهور**»[1] والعدوان في الطهور: مجاوزة الحدِّ المشروع عددًا أو وصفًا، كأن يغسل عضوًا أكثر من ثلاث مرات، أو يبلغ بالوضوء إلىٰ إبطيه وفخذيه، وهذا الحديث علامة مِنْ علامات نبوته ﷺ.

(١) أخرجه أبو داود، كتال الطهارة، باب «الإسراف في الماء»، رقم (٩٦)، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب «كراهية الاعتداء في الدعاء»، رقم (٣٨٦٤)، وأحمد (٤/ ٨٦) من حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه.
قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». «المستدرك» (١/ ٧٢٤).
وقال النووي: «رواه أبو داود بإسناد صحيح». «المجموع» (٢/ ٢٢٠).

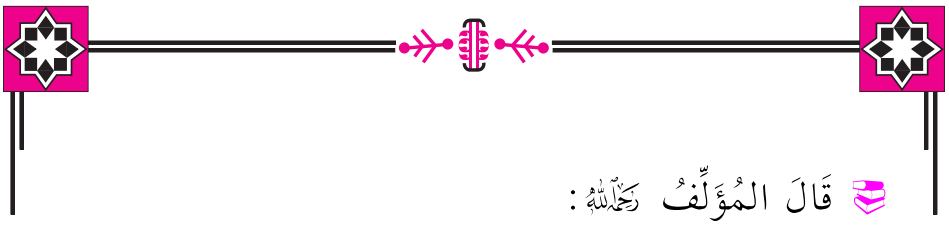

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وأما الرجل إذا أصابته نائبة أو خاف شيئًا فاستغاث بشيخه يطلب تثبيت قلبه مِنْ ذلك الواقع فهذا مِنَ الشِّرك، وهو مِنْ جنس دين النصارىٰ؛ فإن الله هو الذي يصيب بالرحمة ويكشف الضُّرَّ، قال الله ﷻ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧]، وقال تعالىٰ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر: ٢]، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنعام: ٤٠-٤١]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسرَاء: ٥٦-٥٧]، فبيَّنَ أن مَنْ يدعي مِنْ دون الله الملائكة والأنبياء وغيرهم لا يملكون كشف الضُّرِّ عنهم ولا تحويلًا.

فإذا قال القائل: «أنا أدعو الشيخ ليكون شفيعًا لي»، فهو مِنْ جنس دعاء النصارىٰ لمريم والأحبار والرهبان، والمؤمن يرجو ربَّهُ ويخافه، ويدعوه مخلصًا له الدين، وحقُّ شيخه عليه أن يدعو له ويترحَّمَ عليه؛ فإن أعظم الخلق قدرًا هو رسول الله ﷺ، وأصحابه أعلم الناس بأمره وقدره وأطوع الناس له، ولم يكن يأمر أحدًا منهم عند الفزع والخوف أن يقول: «يا سيدي، يا رسول ا»، ولم يكونوا يفعلون ذلك لا في حياته ولا بعد مماته، بل كان يأمرهم بذكر الله

ودعائه والصَّلاة والسَّلام عليه ﷺ، قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٤]، وفي «صحيح البخاري» عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه الكلمة قالها إبراهيم عليه السَّلام حين أُلْقِيَ في النار، وقالها محمد ﷺ - يعني: وأصحابه - حين قال لهم الناس: «إن الناس قد جمعوا لكم»، وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه كان يقول عند الكرب: «لا إله إلَّا الله العظيم الحليم، لا إله إلَّا الله رب العرش الكريم، لا إله إلَّا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم»، وقد روي أنه عَلَّمَ نحو هذا الدعاء بعض أهل بيته، وفي «السنن» أن النبي ﷺ كان إذا حزبه أمر قال: «يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث»، وروي أنه عَلَّمَ ابنته فاطمة أن تقول: «يا حي يا قيوم، يا بديع السماوات والأرض، لا إله إلَّا أنت برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلىٰ نفسي طرفة عين، ولا إلىٰ أحد من خلقك»، وفي «مسند الإمام أحمد» وفي «صحيح أبي حاتم ابن حبان البستي» عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أصاب عبدًا قط هم ولا حزن فقال: «اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي، إلَّا أذهب الله همه وغمه، وأبدله مكانه فرجًا»، قالوا: «يا رسول الله، أفلا نتعلمهن؟»، قال: «ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن»، وقال لأمته: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا

لحياته، ولكن الله يخوف بهما عباده، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلىٰ الصلاة، وذكر الله، والاستغفار»، فأمرهم عند الكسوف بالصلاة، والدعاء، والذكر، والعتق، والصدقة، ولم يأمرهم أن يدعوا مخلوقًا ولا ملكًا ولا نبيًّا ولا غيرهم، ومثل هذا كثير في السنة، ولم يشرع للمسلمين عند الخوف إلَّا ما أمر الله به مِنْ دعاء الله، وذكر الله، والاستغفار، والصلاة، والصدقة، ونحو ذلك، فكيف يعدل المؤمن بالله ورسوله عما شرعه الله ورسوله إلىٰ بدعة ما أنزل الله بها مِنْ سلطان تضاهي دين المشركين والنصارىٰ؟!.

وإن زعم أحد أن حاجته قضيت بمثل ذلك، وأنه مُثِّلَ له شيخه ونحو ذلك فعُبَّادُ الكواكب والأصنام ونحوهم مِنْ أهل الشِّرك يجري لهم نحو هذا، كما قد تواتر ذلك عمن مضىٰ من المشركين، وعن المشركين في هذا الزمان، ولولا ذلك ما عُبِدَتِ الأصنام ونحوها، وقال الخليل عليه السلام: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ۝٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾ [إبراهيم: ٣٥-٣٦].

ويقال: إن أول ما ظهر الشِّرك في أرض مكة بعد الخليل إبراهيم مِنْ جهة عمرو بن لحي الخزاعي الذي رآه النبي ﷺ يجر أمعاءه في النار، وهو أول مَنْ سيَّب السوائب وغَيَّرَ دين إبراهيم، قالوا: «إنه ورد الشام، فوجد فيها أصنامًا بالبلقاء يزعمون أنهم ينتفعون بها في جلب منافعهم ودفع مضارهم فنقلها إلىٰ مكة، وسَنَّ للعرب الشِّركَ وعبادة الأصنام».

والأمور التي حرَّمها الله ورسوله من الشِّرك، والسحر، والقتل، والزنا، وشهادة الزور، وشرب الخمر وغير ذلك من المحرمات قد يكون للنفس فيها حظ مما تعده منفعة أو دفع مضرة، ولولا ذلك ما أقدمت النفوس علىٰ المحرمات التي لا خير فيها بحال، وإنما يوقع

النفوس في المحرمات الجهل أو الحاجة، فأما العالم بقبح الشيء والنهي عنه فكيف يفعله؟!، والذين يفعلون هذه الأمور جميعها قد يكون عندهم جهل بما فيها من الفساد، وقد تكون بهم حاجة إليها مثل الشهوة إليها، وقد يكون فيها من الضرر أعظم مما فيها من اللذة، ولا يعلمون ذلك لجهلهم أو تغلبهم أهواؤهم حتىٰ يفعلوها، والهوىٰ الغالب يجعل صاحبه كأنه لا يعلم من الحقِّ شيئًا، فإن حبك الشيء يعمي ويصم، ولهذا كان العالم مَنْ يخشىٰ الله، وقال أبو العالية: «سألت أصحاب محمد ﷺ عن قول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ الآية [النِّسَاء: ١٧] فقالوا: «كلُّ مَنْ عصىٰ الله فهو جاهل، وكلُّ مَنْ تاب فقد تاب مِنْ قريب»، وليس هذا موضع البسط لبيان ما في المنهيات من المفاسد الغالبة وفي المأمورات من المصالح الغالبة، بل يكفي المؤمن أن يعلم أن ما أمره الله به فهو مصلحة محضة أو غالبة، وما نهىٰ الله عنه فهو مفسدة محضة أو غالبة، وأن الله لا يأمر العباد بما يأمرهم به لحاجته إليهم، ولا نهاهم عما نهاهم بخلًا به عليهم، بل أمرهم بما فيه صلاحهم، ونهاهم عما فيه فسادهم، ولهذا وصف نبيه ﷺ بأنه ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]».

﴿ الشَّرح ﴾

○ قوله: «وأما الرجل إذا أصابته نائبة أو خاف شيئًا فاستغاث بشيخه يطلب تثبيت قلبه مِنْ ذلك الواقع فهذا مِنَ الشِّرك» وهذا يفعله **الصوفية**، فتجد **المريد الصوفي** يستغيث بشيخه، ويقول الشيخ لتلميذه أو مريده: «إذا خفت مِنْ شيء فاذكرني»، أو «ادعني»، ومن الذي

يستطيع أن يثبت القلب إلَّا الله الذي خلقه؟!، «**وهو مِنْ جنس دين النصارىٰ**» فهم يُعظِّمُون القسيسين ورؤساءهم، ويزعمون أن بيدهم التصرف، ويهدون قلوبهم ويثبتونها عند المزعجات، وأن مَن أصابته نائبة أو خاف شيئًا فاستغاث بشيخه أغاثه، بل يزعمون أنهم يعطونهم صكوك الغفران ودخول الجنة، فهذا شرك بالله ﷻ؛ «**فإن الله هو الذي يصيب بالرحمة ويكشف الضُّرَّ، قال الله ﷻ**: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧]» فلا يستطيع أحد غير الله أن يكشف الضُّرَّ عنك، أو يجلب الخير لك، أو يثبت قلبك إذا أزعجك شيء، «**وقال تعالىٰ**: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر: ٢]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنعام: ٤٠-٤١]، **وقال تعالىٰ**: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾» فكلُّ مَنْ سِوَىٰ الله لا يملك كشف الضُّرِّ ولا تحويل حاله إلىٰ آخر، «﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: ٥٧]»، فبيَّنَ أن مَنْ يُدعى مِنْ دون الله الملائكة والأنبياء وغيرهم لا يملكون كشف الضُّرِّ عنهم ولا تحويلًا» فهذه النصوص كلها تدل علىٰ أنه لا يكشف الضُّرَّ إلَّا الله، ولا يجلب الخير إلَّا هو، ومَنْ طلب مِنْ شيخه أن يهدي قلبه أو يغفر ذنبه أو يدخله الجنة فهو مشرك.

○ قوله: «**فإذا قال القائل: «أنا أدعو الشيخ ليكون شفيعًا لي»**» لا ليثبت قلبي «**فهو مِنْ جنس دعاء النصارىٰ لمريم والأحبار**

والرهبان»، ومِنْ جنس قول المشركين ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يُونس: ١٨]، فهذه شبهتهم، ويقولون: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣] فكفَّرَهم الله تعالىٰ بذلك، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ۝٣﴾ [الزُّمَر: ٣].

○ قوله: «والمؤمن يرجو ربَّهُ ويخافه» فلا يرجو إلَّا الله، ولا يخاف إلَّا منه، «ويدعوه مخلصًا له الدين، وحقُّ شيخه عليه أن يدعو له ويترحَّمَ عليه» لا أن يُدْعَىٰ ويُتَّخذ وسيطًا بين العبد وربِّهِ؛ «فإن أعظم الخلق قدرًا هو رسول الله ﷺ، وأصحابه أعلم الناس بأمره وقدره وأطوع الناس له، ولم يكن يأمر أحدًا منهم عند الفزع والخوف أن يقول: «يا سيدي، يا رسول الله»، ولم يكونوا يفعلون ذلك لا في حياته ولا بعد مماته، بل كان يأمرهم بذكر الله ودعائه والصَّلاة والسَّلام عليه ﷺ، قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ۝١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ۝١٧٤﴾ [آل عِمرَان: ١٧٣-١٧٤]، وفي «صحيح البخاري»[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه الكلمة» وهي «حسبنا الله ونعم الوكيل»، «قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلْقِيَ في النار»؛ لأن قوم إبراهيم عليه السَّلام جمعوا حطبًا وأضرموا نارًا عظيمة، حتىٰ إن الطير لتمر بها فتحترق من شدة وهجها[2]، فلما ألقي في النار قال هذه الكلمة، ويروىٰ أن جبريل جاء إلىٰ إبراهيم عليه السلام وهو يوثق ليلقىٰ في النار، قال: «يا إبراهيم، ألك حاجة؟»، قال: «أما إليك

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب «﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ﴾ الآية [آل عِمرَان: ١٧٣]»، رقم (٤٥٦٣).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٤٤).

فلا»[(١)]، فانظر إلىٰ قوة التوكل.

قال عليه السلام: «حسبنا الله ونعم الوكيل» فجاء الفرج أسرع من لمح البصر من القادر علىٰ كلِّ شيء، قال تعالىٰ: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبيَاء: ٦٩] فكانت بردًا وسلامًا عليه، وسلبها الله خاصية الإحراق فلم تحرقه، وأخرج ابن جرير[(٢)] عن أبي العالية في قوله: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾ قال: «السلام، لا يؤذيه بردها، ولولا أنه قال: «سلامًا» لكان البرد أشد عليه من الحر»، ولكنها بردًا بسلام، **«وقالها محمد ﷺ ـ يعني: وأصحابه ـ حين قال لهم الناس: «إن الناس قد جمعوا لكم»»** فجاءهم الفرج ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٧٤]، **«وفي «الصحيح»[(٣)] عن النبي ﷺ أنه كان يقول عند الكرب: «لا إله إلَّا الله العظيم الحليم، لا إله إلَّا الله رب العرش الكريم، لا إله إلَّا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم»»** فتأتي عند الكرب بهذا الذكر، وتلجأ إلىٰ الله، ولا تسأل المخلوق، **«وقد روي أنه ﷺ عَلَّمَ نحو هذا الدعاء بعض أهل بيته[(٤)]»**،

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» (١٧/ ٤٥) عن معتمر بن سليمان التيمي عن بعض أصحابه.

(٢) «التفسير» (١٧/ ٤٥).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب «الدعاء عند الكرب»، رقم (٦٣٤٦)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم (٢٧٣٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٩١) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «**علمني رسول الله؟ إذا نزل بي كرب أن أقول «لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله وتبارك الله رب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين»**». **قال الحاكم**: «هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم، ولم يخرجاه لاختلاف فيه علىٰ الناقلين». «المستدرك» (١/ ٦٨٨).

وفي «السنن»[١] أن النبي ﷺكان إذا حزبه أمر قال : «يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث»» وهذا توسل برحمة الله، وليس دعاء لها، فلم يقل : «يا رحمة الله»، فدعاء الصفة كالرحمة وغيرها لا يجوز، حتىٰ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : «إنه كفر»[٢]، «وروي أنه عَلَّمَ ابنته فاطمة أن تقول : «يا حي يا قيوم، يا بديع السماوات والأرض، لا إله إلَّا أنت برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلىٰ نفسي طرفة عين، ولا إلىٰ أحد من خلقك»[٣]، وفي «مسند الإمام أحمد» وفي «صحيح أبي حاتم ابن حبان البستي»[٤] عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أصاب عبدًا قط هم ولا حزن فقال : «اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك» وفي هذا الحديث: التوسل بأسماء الله وصفاته، وأنَّ أسماءَ الله ليست محصورة بتسعة وتسعين اسمًا؛ لقوله «أو استأثرت به في علم الغيب عندك»، «أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الدعاء، باب (٩٢)، رقم (٣٥٢٤) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) «الاستغاثة في الرد علىٰ البكري» (١/ ١٨١).

(٣) أخرجه النسائي في «السنن الكبرىٰ» (٦/ ١٤٧) رقم (١٠٤٠٥) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.قال الحاكم: «هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين، ولم يخرجاه». «المستدرك» (١/ ٧٣٠).

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٣٩١)، وابن حبان في «صحيحه» (٣/ ٢٥٣) رقم (٩٧٢) من طريق القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن عبد الله به. **قال الحاكم**: «هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم إن سَلِمَ من إرسال **عبد الرحمن بن عبد الله** عن **أبيه**؛ فإنه مختلف في سماعه عن أبيه». «المستدرك» (١/ ٦٩٠).

صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي، إلَّا أذهب الله همه وغمه، وأبدله مكانه فرجًا»، قالوا: «يا رسول الله، أفلا نتعلمهن؟»، قال: «ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن»، وقال لأمته: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكن الله يخوف بهما عباده، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلىٰ الصلاة، وذكر الله، والاستغفار»[1] ولم يقل: توسلوا بمخلوق، «فأمرهم عند الكسوف بالصلاة، والدعاء، والذكر، والعتق والصدقة» وكان العتق لما كان الجهاد، وأما الآن فلا رق؛ لأن المسلمين ضعفاء لا يغزون الكفار، بل الكفار هم الذين يغزونهم، ولكن المستقبل حتمًا للإسلام، والنصر قادم إن شاء الله، «ولم يأمرهم أن يدعوا مخلوقًا ولا ملكًا ولا نبيًّا ولا غيرهم» والمشرك علىٰ عكس ذلك يستغيث بشيخه إذا أصابه فزع، وهذا الشِّرك بعينه، «ومثل هذا كثير في السنة، ولم يشرع للمسلمين عند الخوف إلَّا ما أمر الله به مِنْ دعاء الله، وذكر الله، والاستغفار، والصلاة، والصدقة، ونحو ذلك، فكيف يعدل المؤمن بالله ورسوله عما شرعه الله ورسوله» من الدعاء والتضرع إلىٰ الله تعالىٰ «إلىٰ بدعة» وهي دعاء شيخه «ما أنزل الله بها مِنْ سلطان تضاهي دين المشركين والنصارىٰ؟!»فيدع المشروع إلىٰ المحدث المبتَدَع الذي يضاهي ويماثل به دين المشركين والنصارىٰ؟!.

○ قوله: «وإن زعم أحد أن حاجته قضيت بمثل ذلك، وأنه مُثِّلَ له شيخه ونحو ذلك» فهذا شيطان يتمثل بشيخه أمامه؛ ليضله ويغويه، «فعُبَّادُ الكواكب والأصنام ونحوهم مِنْ أهل الشِّرك يجري

(١) أخرجه البخاري، كتاب الكسوف، باب «الصلاة في كسوف الشمس»، رقم (١٠٤١)، ومسلم، كتاب الكسوف، رقم (٩١١) من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

لهم نحو هذا، كما قد تواتر ذلك عمن مضىٰ من المشركين، وعن المشركين في هذا الزمان، ولولا ذلك» أي: مما يظن بها من النفع بجلب مصلحة أو دفع مضرة من عبادتها «ما عُبِدَتِ الأصنام ونحوها، وقال الخليل عليه السلام: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ۝٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾ [إبراهيم: ٣٥-٣٦]» فإذا كان الخليل عليه السلام وهو نبي وأولاده أنبياء وهو الذي كسر الأصنام يخاف مِنْ عبادة الأصنام ويدعو الله أن يجنبه إياها، فكيف بغيره؟![1]

○ قوله: «ويقال: إن أول ما ظهر الشِّرك في أرض مكة بعد الخليل إبراهيم مِنْ جهة عمرو بن لحي الخزاعي الذي رآه النبي ﷺ يجر أمعاءه في النار، وهو أول مَنْ سيَّب السوائب[2]» أي: ترك بعض الدواب لا تركب ولا تحلب، قال الله تعالىٰ: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ۝١٠٣﴾ [المائدة: ١٠٣]، «وغَيَّرَ دين إبراهيم، قالوا: «إنه ورد الشام، فوجد فيها أصنامًا بالبلقاء يزعمون أنهم ينتفعون بها في جلب منافعهم ودفع مضارهم فنقلها إلىٰ مكة، وسَنَّ للعرب الشِّركَ وعبادة الأصنام»[3].

○ قوله: «والأمور التي حرَّمها الله ورسوله من الشِّرك، والسحر، والقتل، والزنا، وشهادة الزور، وشرب الخمر وغير ذلك

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٢/٢٢٨).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب «﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ﴾»، رقم (٤٦٢٣)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم (٢٨٥٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) انظر: كتاب «الأصنام» لابن الكلبي (ص ٨).

من المحرمات قد يكون للنفس فيها حظ مما تعده منفعة أو دفع مضرة، ولولا ذلك ما أقدمت النفوس علىٰ المحرمات التي لا خير فيها بحال» فيقدِم الناس عليها لأنه قد يكون فيها حظ ومنفعة أو دفع مضرة، فشارب الخمر مثلًا يقدِم علىٰ شربها لما يظنه أو يجده فيها من المنفعة فيخيل إليه أنه مَلِك وينسىٰ الهموم، ولولا طلبها ذلك الحظ ما أقدمت النفوس علىٰ المحرمات التي لا خير فيها بحال، «وإنما يوقع النفوس في المحرمات الجهل» بحرمتها، «أو الحاجة» إلىٰ مزاولتها وإن عَلِمَ حرمتها فيحمله فقره وكذلك شهوته علىٰ ذلك، «فأما العالم بقبح الشيء والنهي عنه فكيف يفعله؟!، والذين يفعلون هذه الأمور جميعها قد يكون عندهم جهل بما فيها من الفساد، وقد تكون بهم حاجة إليها مثل الشهوة إليها، وقد يكون فيها من الضرر أعظم مما فيها من اللذة، ولا يعلمون ذلك لجهلهم أو تغلبهم أهواؤهم حتىٰ يفعلوها، والهوىٰ الغالب يجعل صاحبه كأنه لا يعلم من الحقِّ شيئًا، فإن حبك الشيء يعمي» عن رؤية الحقِّ «ويصم» عن سماعه، وقد جاء حديث عند أبي داود وغيره[1] عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ**»، لكن الحديث ضعيف، «ولهذا كان العالم مَنْ يخشىٰ الله» ولذلك قال العلماء: «من أطاع الله فهو عالم، ومن عصىٰ الله فهو جاهل»، «وقال أبو العالية: «سألت أصحاب محمد ﷺ عن قول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ الآية [النساء: ١٧]

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب «ذم الهوىٰ»، رقم (٥١٣٠)، وأحمد (٥/ ١٩٤) من طريق أبي بكر بن أبي مريم، عن خالد بن محمد الثقفي، عن بلال بن أبي الدرداء، عن أبي الدرداء به. **قال العراقي**: «أخرجه أبو داود من حديث أبي الدرداء بإسناد ضعيف». «المغني عن حمل الأسفار» (٢/ ٧٢٠).

فقالوا: «كلُّ مَنْ عصىٰ الله فهو جاهل»[1]، وكلُّ مَنْ تاب» قبل الموت في حال صحته «فقد تاب مِنْ قريب» أما إذا بلغت الروح الحلقوم فقد انتهىٰ الأمر، «وليس هذا موضع البسط لبيان ما في المنهيات من المفاسد الغالبة وفي المأمورات من المصالح الغالبة، بل يكفي المؤمن أن يعلم أن ما أمره الله به فهو مصلحة محضة أو غالبة، وما نهىٰ الله عنه فهو مفسدة محضة أو غالبة، وأن الله لا يأمر العباد بما يأمرهم به لحاجته إليهم» فلم يأمرهم بطاعته ليتكثَّرَ بهم مِنْ قِلَّةٍ ولا يتعزَّز بهم مِنْ ضعف، بل هو النافع الضار المعطي المانع ﷻ، «ولا نهاهم عما نهاهم بخلًا به عليهم، بل أمرهم بما فيه صلاحهم، ونهاهم عما فيه فسادهم، ولهذا وصف نبيه ﷺ بأنه ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]» فهذا وصف نبينا ﷺ.

(١) أخرجه الطبري في «التفسير» (٤/ ٢٩٨).

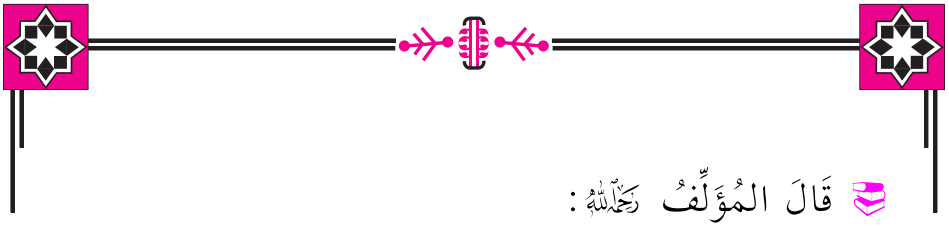

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وأما التمسُّح بالقبر ـ أيِّ قبر كان ـ وتقبيله، وتمريغ الخدِّ عليه فمنهي عنه باتفاق أئمة المسلمين ولو كان ذلك من قبور الأنبياء، ولم يفعل هذا أحد مِنْ سلف الأمة وأئمتها، بل هذا من الشِّرك، قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ [نوح: ٢٣-٢٤]، وقد تقدَّم أن هؤلاء أسماء قوم صالحين كانوا في قوم نوح، وأنهم عكفوا علىٰ قبورهم مدة ثم طال عليهم الأمد فصوَّروا تماثيلهم، لا سيما إذا اقترن بذلك دعاء الميت والاستغاثة به، وقد تقدَّم ذكر ذلك، وبيان ما فيه من الشِّرك، وبيان الفرق بين الزيارة البدعية التي تشبَّه أهلها بالنصارىٰ والمشركين والزيارة الشرعية.

وأما وضع الرأس عند الكبراء مِنَ الشيوخ أو غيرهم أو تقبيل الأرض ونحو ذلك فإنه مما لا نزاع فيه بين الأئمة في النهي عنه، بل مجرد الانحناء بالظهر لغير الله منهي عنه، ففي «المسند» وغيره أن معاذ بن جبل رضي الله عنه لما رجع من الشام سجد للنبي ﷺ فقال: «ما هذا يا معاذ؟!»، فقال: «يا رسول الله، رأيتهم يسجدون في الشام لأساقفتهم وبطارقتهم، ويذكرون ذلك عن أنبيائهم»، فقال: «كذبوا يا معاذ، لو كنت آمرًا أحد أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها مِنْ عظم حقِّهِ عليها، يا معاذ، أرأيت لو مررتَ بقبري أكنت ساجدًا؟»، قال: «لا»، قال: «فلا تفعل» أو كما قال رسول الله ﷺ، بل قد ثبت في «الصحيح» مِنْ حديث جابر أنه ﷺ صلىٰ

بأصحابه قاعدًا مِنْ مرض كان به فصلوا قيامًا فأمرهم بالجلوس، وقال: «لا تعظموني كما يعظم الأعاجم بعضها بعضًا»، وقال: «مَنْ سرَّهُ أن يتمثَّل له الرجال قيامًا فليتبوأ مقعده من النار»، فإذا كان قد نهاهم مع قعوده ـ وإن كانوا قاموا في الصلاة ـ حتىٰ لا يتشبهوا بمن يقومون لعظمائهم، وبيَّنَ أن مَنْ سرَّهُ القيام له كان مِنْ أهل النار فكيف بما فيه من السجود له ومِنْ وضع الرأس وتقبيل الأيادي؟!، ونحو ذلك، وقد كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو خليفة علىٰ الأرض كلها قد وكَّلَ أعوانًا يمنعون الداخل من تقبيل الأرض، ويؤدِّبهم إذا قبَّل أحد الأرض له.

وبالجملة فالقيام والركوع والسجود حقٌّ للواحد المعبود خالق السماوات والأرض، وما كان حقًّا خالصًا لله لم يكن لغيره فيه نصيب مثل الحلف بغير الله عز وجل، وقد قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت» متفق عليه، وقال أيضًا: «مَنْ حلف بغير الله فقد أشرك»، فالعبادة كلها لله وحده لا شريك له؛ ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البيّنة: ٥]، وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله يرضىٰ لكم ثلاثًا، أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا مَنْ ولَّاه الله أمركم»، وإخلاص الدين لله هو أصل العبادة، ونبينا ﷺ نهىٰ عن الشِّرك دقِّه وجلِّه وجليله وخفيه وكبيره وحقيره، حتىٰ إنه قد تواتر عنه أنه نهىٰ عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها بألفاظ متنوعة، تارة يقول: «لا تحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها»، وتارة ينهىٰ عن الصلاة بعد الفجر حتىٰ تطلع الشمس وبعد العصر حتىٰ تغرب الشمس، وتارة يذكر أن الشمس إذا طلعت طلعت بين قرني شيطان

وحينئذ يسجد لها الكفار، وإذا غربت غربت بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار، ونهىٰ عن الصلاة حينئذ، فإذا كان قد نهىٰ عن الصلاة في هذا الوقت لما فيه مِنْ مشابهة المشركين في كونهم يسجدون للشمس في هذا الوقت وأن الشيطان يقارن الشمس حينئذ ليكون السجود له فكيف بما هو أظهر شركًا ومشابهة للمشركين مِنْ هذا؟!، وقد قال الله تعالىٰ فيما أمر رسوله أن يخاطب به أهل الكتاب: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤]؛ وذلك لما في ذلك مِنْ مشابهة أهل الكتاب من اتخاذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله، ونحن منهيون عن مثل هذا، ومن عدل عن هدي نبيه ﷺ وهدي أصحابه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ ما هو مِنْ جنس هدي النصارىٰ فقد ترك ما أمر الله به ورسوله».

﴿ الشَّرح ﴾

هذا جواب **السؤال الرابع** من الأسئلة التي وجِّهت **للمؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو «فيمن يجيء إلىٰ شيخه، ويستلم القبر، ويمرغ وجهه عليه، ويمسح القبر بيديه، ويمسح بهما وجهه، وأشباه ذلك».

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما التمسُّح بالقبر ـ أيِّ قبر كان ـ وتقبيله، وتمريغ الخدِّ عليه فمنهي عنه باتفاق أئمة المسلمين ولو كان ذلك من قبور الأنبياء، ولم يفعل هذا أحد مِنْ سلف الأمة وأئمتها، بل هذا من الشِّرك» فإن اعتقد أن البركة من القبر فهو شرك أكبر، وإن اعتقد أنه سبب للبركة فهو شرك أصغر، «قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ [نوح: ٢٣-٢٤]، وقد تقدَّم أن هؤلاء أسماء قوم صالحين كانوا في قوم

نوح، وأنهم عكفوا علىٰ قبورهم مدة ثم طال عليهم الأمد فصوَّروا تماثيلهم» وعبدوهم، «لا سيما إذا اقترن بذلك» أي: بكونه يتمسح بالقبر ويقبله ويمرغ خدَّه عليه ـ وهذا شرك ـ «دعاء الميت والاستغاثة به» فلا شك في كفر هذا، «وقد تقدَّم ذكر ذلك، وبيان ما فيه من الشِّرك، وبيان الفرق بين الزيارة البدعية التي تشبَّه أهلها بالنصارىٰ والمشركين والزيارة الشرعية».

ثم أتىٰ **المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ بجواب **السؤال السادس** من الأسئلة التي وجِّهت إليه، وهو «فيمن يعمل السماع ويجيء إلىٰ القبر فيكشف ويحط وجهه بين يدي شيخه علىٰ الأرض ساجدًا نحوه»، وجواب **السؤال الخامس** يأتي بعد هذا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما وضع الرأس عند الكبراء مِنَ الشيوخ» شيوخ **الصوفية**، «أو غيرهم» مِنْ قساوسة **النصارىٰ** وغيرهم «أو تقبيل الأرض» تحته تعظيمًا له «ونحو ذلك» مِنْ وضع رأسه عند الشيخ ليتوب عليه ويغفر له ذنبه ويعطيه صك الغفران «فإنه مما لا نزاع فيه بين الأئمة في النهي عنه» بغير خلاف، «بل مجرد الانحناء بالظهر لغير الله منهي عنه»، والدليل ما جاء: «في «المسند»[1] وغيره أن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما رجع من الشام سجد للنبي ﷺ فقال: «ما هذا يا معاذ؟!»، فقال: «يا رسول الله، رأيتهم يسجدون في الشام لأساقفتهم» جمع أسقف، وهو عالم النصارىٰ ورئيسهم «وبطارقتهم» جمع بطريق، وهو الحاذق بالحرب وأمورها عندهم «ويذكرون ذلك عن أنبيائهم»، فقال: «كذبوا يا معاذ، لو كنت آمرًا أحد أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها مِنْ عظم حقِّهِ عليها، يا معاذ،

(١) تقدَّم تخريجه.

أرأيت لو مررتَ بقبري أكنت ساجدًا؟»، قال: «لا»، قال: «فلا تفعل»[١] **أو كما قال رسول الله ﷺ** وهذا الحديث تقدَّم، وأما قوله **«أرأيت لو مررتَ بقبري أكنت ساجدًا؟»** فقد جاء في قصة قيس بن سعد بن عبادة[٢] لا قصةِ معاذ رضي الله عنهما.

وفي حديث معاذ دليل علىٰ أنه لا يجوز وضع الرأس للكبراء علىٰ وجه الخضوع والذل.

وإذا قيل للصوفي: «لا يصلح هذا إلَّا لله»، قال: «هذا احترام للشيخ، لا عبادة له»، فيقال له: «سمِّه ما شئت، فهو شرك».

وليس في قصة معاذ دليل علىٰ أن السجود لغير الله يحتاج فاعله إلىٰ سؤاله عما أراد به؛ لأن معاذًا فعله عن جهل، وإذا فعل الإنسان الشِّرك أو الحرام جاهلًا لا يكون مشركًا؛ لجهله حتىٰ يعلم حرمته فيقع فيه عن علم.

○ قوله: **«بل قد ثبت في «الصحيح»**[٣] **مِنْ حديث جابر أنه ﷺ صلىٰ بأصحابه قاعدًا مِنْ مرض كان به فصلوا قيامًا فأمرهم بالجلوس، وقال: «لا تعظموني كما يعظم الأعاجم بعضها بعضًا»»** وتقدَّم هذا الحديث.

○ قوله: **«وقال: «مَنْ سرَّهُ أن يتمثَّل له الرجال قيامًا فليتبوأ**

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب النكاح، باب «في حق الزوج علىٰ المرأة»، رقم (٢١٤٠). **قال الحاكم**: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». «المستدرك» (٢/ ٢٠٤). **وقال المنذري**: «وفي إسناده **شريك**، وقد أخرج له مسلم في المتابعات ووثِّقَ». «الترغيب والترهيب» (٣/ ٣٦).

(٢) وهي زيادة «أرأيت لو مررتَ علىٰ قبري» أخرجها البيهقي في الكبرىٰ رقم (١٤٧٠٥).

(٣) تقدَّم تخريجه.

مقعده من النار»[١] وهذا وعيد شديد «فإذا كان قد نهاهم مع قعوده ـ وإن كانوا قاموا في الصلاة ـ حتىٰ لا يتشبهوا بمن يقومون لعظمائهم، وبيَّنَ أن مَنْ سرَّهُ القيام له كان مِنْ أهل النار فكيف بما فيه من السجود له ومِنْ وضع الرأس وتقبيل الأيادي؟!، ونحو ذلك، وقد كان عمر بن عبد العزيز ﷺ وهو خليفة علىٰ الأرض كلها قد وكَّلَ أعوانًا يمنعون الداخل من تقبيل الأرض، ويؤدِّبهم إذا قبَّل أحد الأرض له. وبالجملة فالقيام والركوع والسجود حقٌّ للواحد المعبود خالق السماوات والأرض، وما كان حقًّا خالصًا لله لم يكن لغيره فيه نصيب» فإذا صرفه العبد لغير الله وقع في الشِّرك، «مثل الحلف بغير الله ﷻ، وقد قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت» متفق عليه[٢]، وقال أيضًا: «مَنْ حلف بغير الله فقد أشرك»[٣]» «فالعبادة» أصحُّ ما قيل في تعريف العبادة ما قاله **شيخ الإسلام ابن تيمية** ﷺ، **قال**: «هي اسم جامع لكلِّ ما يُحبه الله

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب «في قيام الرجل للرجل»، رقم (٥٢٢٩)، والترمذي، كتاب الأدب، باب «ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل»، رقم (٢٧٥٥)، وأحمد (٤/ ٩١) من حديث معاوية بن أبي سفيان ﷺ. **قال الترمذي**: «حديث حسن». **وقال المنذري**: «رواه أبو داود بإسناد صحيح». «الترغيب والترهيب» (٣/ ٢٨٩).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب «كيف يستحلف»، رقم (٢٦٧٩)، ومسلم، كتاب الأيمان، رقم (١٦٤٦) من حديث ابن عمر ﷺ.

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب الأيمان والنذور، باب «ما جاء في كراهية الحلف بالآباء»، رقم (٣٢٥١)، والترمذي، كتاب النذور والأيمان، باب «ما جاء في كراهية الحلف بغير الله»، رقم (١٥٣٥)، وأحمد (١/ ٤٧) من حديث ابن عمر ﷺ. **قال الترمذي**: «حديث حسن».
وصححه **ابن الملقن** في «البدر المنير» (٩/ ٤٥٩).

ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة، والزكاة، والصيام، والحجُّ، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبرُّ الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلىٰ الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة»[(١)] «**كلها لله وحده لا شريك له**؛ ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البَيِّنَة: ٥]، **وفي «الصحيح»**[(٢)] **عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله يرضىٰ لكم ثلاثًا، أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا مَنْ ولَّاه الله أمركم»**» وهذا حقٌّ علىٰ عباده أئمة وعامَّة، فالأئمة يناصحون بالوسيلة المناسبة، والعامَّة يتعاون معهم علىٰ البر والتقوىٰ، ويعتصم الجميع بالدين الواحد ولا يتفرقون أحزابًا وطوائف متناحرة، «**وإخلاص الدين لله هو أصل العبادة، ونبينا ﷺ نهىٰ عن الشِّرك دقِّه وجلِّه وجليله وخفيه وكبيره وحقيره، حتىٰ إنه قد تواتر عنه أنه نهىٰ عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها بألفاظ متنوعة، تارة يقول: «لا تحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها»**[(٣)]**، وتارة ينهىٰ عن الصلاة بعد الفجر حتىٰ تطلع الشمس**

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ١٤٩).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الأقضية، رقم (١٧١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب «لا يتحرىٰ الصلاة قبل غروب الشمس»، رقم (٥٨٥)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم (٨٢٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وبعد العصر حتىٰ تغرب الشمس[(١)]، وتارة يذكر أن الشمس إذا طلعت طلعت بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار، وإذا غربت غربت بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار[(٢)]، ونهىٰ عن الصلاة حينئذ» سدًّا للذريعة؛ لأنه لو أبيح التنفل بعد العصر ربما صار بعضهم يصلي حتىٰ يقرب الغروب فيوافق المشركين في السجود للشمس، وكذلك لو أبيح بعد صلاة الفجر، **«فإذا كان قد نهىٰ عن الصلاة في هذا الوقت لما فيه مِنْ مشابهة المشركين في كونهم يسجدون للشمس في هذا الوقت وأن الشيطان يقارن الشمس حينئذ ليكون السجود له فكيف بما هو أظهر شركًا ومشابهة للمشركين مِنْ هذا؟!»** فلا ريب أنه أشدُّ، فإذا كان النبي ﷺ نهىٰ عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها سدًّا للذريعة حتىٰ لا يتشبه المسلم بالكفار الذين يسجدون للشمس، فكيف بمن يفعل الشِّرك نفسه ويصرف السجود لمخلوق؟!، **«وقد قال الله تعالىٰ فيما أمر رسوله أن يخاطب به أهل الكتاب: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾** [آل عمران: ٦٤]؛ **وذلك لما في ذلك مِنْ مشابهة أهل الكتاب من اتخاذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله، ونحن منهيون عن مثل هذا، ومن عدل عن هدي نبيه**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب «الصلاة بعد الفجر حتىٰ ترتفع الشمس»، رقم (٥٨١)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم (٨٢٦) من حديث عمر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم (٨٣٢) من حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه.

ﷺ وهدي أصحابه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ ما هو مِنْ جنس هدي النصارىٰ» من السجود للأشياخ وصرف شيء من العبادة لهم **«فقد ترك ما أمر الله به ورسوله»**.

وما يفعله بعض اللاعبين في الألعاب الرياضية مِنْ حني الظهر علىٰ هيئة الراكع فينظر إلىٰ المقصود منه، فإن كان احترامًا وإجلالًا لمن أمامه فلا يجوز، وهو مثل انحناء **المريد** عند **الشيخ**، وأما إن كان يحني ظهره لحاجة اللعب إلىٰ ذلك فلا بأس به.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وأما قول القائل: «انقضت حاجتي ببركة الله وبركتك» فمنكر مِنْ القول؛ فإنه لا يقرن بالله في مثل ذلك غيره، حتىٰ إن قائلًا قال للنبي ﷺ: «ما شاء الله وشئت»، فقال: «أجعلتني لله ندًّا؟!، بل ما شاء الله وحده»، وقال لأصحابه: «لا تقولوا: «ما شاء الله وشاء محمد»، ولكن قولوا: «ما شاء الله ثم شاء محمد»»، وفي الحديث أن بعض المسلمين رأىٰ قائلًا يقول: «نعم القوم أنتم لولا أنكم تنددون»، أي: تجعلون لله ندًّا، يعني: تقولون: «ما شاء الله وشاء محمد»، فنهاهم النبي ﷺ عن ذلك، وفي «الصحيحين» عن زيد بن خالد قال: صلىٰ بنا رسول الله ﷺ صلاة الفجر بالحديبية في إثر سماء من الليل، فقال: «أتدرون ماذا قال ربكم الليلة؟»، قلنا: «الله ورسوله أعلم»، قال: «أصبح مِنْ عبادي مؤمن بي وكافر، فمن قال: «مطرنا بفضل الله ورحمته» فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، ومَنْ قال: «مطرنا بنوء كذا وكذا» فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»»، والأسباب التي جعلها الله أسبابًا لا تجعل مع الله شركاء وأندادًا وأعوانًا.

وقول القائل «ببركة الشيخ» قد يعني بها دعاءه، وأسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لغائب، وقد يعني بها بركة ما أمره به وعلمه من الخير، وقد يعني بها بركة إتباعه له علىٰ الحقِّ ومحبته له في الله وطاعته له في طاعة الله، وقد يعني بها بركة معاونته له علىٰ الحقِّ وموالاته في الدين ونحو ذلك، وهذه كلها معان صحيحة، وقد يعني بها دعاءه الميت والغائب؛ إذ استقلال الشيخ بذلك التأثير أو فعله لما هو عاجز عنه غير قادر عليه أو غير قاصد له متابعته أو مطاوعته

على ذلك من البدع والمنكرات ونحو هذه المعاني الباطلة، والذي لا ريب فيه أن العمل بطاعة الله تعالىٰ ودعاء المؤمنين بعضهم لبعض ونحو ذلك هو نافع في الدنيا والآخرة، وذلك فضل الله ورحمته».

﴿ الشَّرح ﴾

هذا جواب **السؤال الخامس** من الأسئلة التي وجِّهت للمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو «فيمن يقصده بحاجته فيقول: «يا شيخ فلان ببركتك»، فيقول: «قضيت حاجتي ببركة الله وبركة الشيخ»».

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما قول القائل: «انقضت حاجتي ببركة الله وبركتك» فمنكر مِنْ القول؛ فإنه لا يقرن بالله في مثل ذلك غيره، حتىٰ إن قائلًا قال للنبي ﷺ: «ما شاء الله وشئت»، فقال: «أجعلتني لله ندًّا!» فقد عطف مشيئة المخلوق علىٰ مشيئة الخالق بالواو، وهذا باطل؛ لما يوهم من التشريك والتنديد، «بل ما شاء الله وحده»[(١)]، وقال لأصحابه: «لا تقولوا: «ما شاء الله وشاء محمد»، ولكن قولوا: «ما شاء الله ثم شاء محمد»»[(٢)]، وفي الحديث أن بعض المسلمين رأىٰ قائلًا يقول: «نعم القوم أنتم لولا أنكم تنددون»، أي: تجعلون لله ندًّا، يعني: تقولون: «ما شاء الله وشاء محمد»، فنهاهم النبي ﷺ عن ذلك[(٣)]» لأنها موهمة للتشريك والتنديد وجعل أحدًا مساويًا لله تعالىٰ في صفة من صفاته، ولكن يقال: «ثم شئت»، «وفي «الصحيحين»[(٤)] عن زيد بن خالد قال: صلىٰ بنا

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) هو الحديث السابق.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب «يستقبل الإمام الناس إذا سلم»، رقم (٨٤٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (٧١).

رسول الله ﷺ صلاة الفجر بالحديبية» وهو مكان قرب مكة علىٰ حدود الحرم، يُسمَّىٰ الآن «الشميسي» «في إثر سماء من الليل» أي: قد مُطِرُوا تلك الليلة، «فقال: «أتدرون ماذا قال ربكم الليلة؟»، قلنا: «الله ورسوله أعلم»، قال: «أصبح مِنْ عبادي مؤمن بي وكافر، فمن قال: «مطرنا بفضل الله ورحمته» فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، ومَنْ قال: «مطرنا بنوء كذا وكذا» فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»»»، وقول القائل «**مطرنا بنوء كذا وكذا**» يعني: مطرنا بنجم كذا، وهذا القول فيه تفصيل: إن كان معتقدًا أن للنجم تأثيرًا في نزول المطر فهذا كفر أكبر؛ لأنه شرك في الربوبية، وإن كان يعتقد أن منزل المطر هو الله تعالىٰ ولكن النوء سبب فيه فهذا شرك أصغر؛ لأنه جعل ما ليس بسبب سببًا، «والأسباب التي جعلها الله أسبابًا لا تجعل مع الله شركاء وأندادًا وأعوانًا» فالسبب الشرعي أو الحسي لا يجعل شريكًا لله في فعله، وإنما تبقىٰ الأسباب أسبابًا، ويفعلها مسبب الأسباب ﷻ.

○ قوله: «وقول القائل «ببركة الشيخ» قد يعني بها» أي: يحتمل هذا القول أن يكون المراد منه «دعاءه» وهذا لا بأس به؛ لأن معناه صحيح، ودعاء الغائب لأخيه مبارك بلا شك، «وأسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لغائب، وقد يعني بها بركة ما أمره به وعلمه من الخير، وقد يعني بها بركة إتباعه له علىٰ الحقِّ ومحبته له في الله وطاعته له في طاعة الله» فاتباع أهل الصلاح والتشبه بهم وأخذ العلم منهم بركة بلا ريب، فإذا عنىٰ هذا فلا بأس، «وقد يعني بها بركة معاونته له علىٰ الحقِّ وموالاته في الدين ونحو ذلك، وهذه كلها معان صحيحة، وقد يعني بها دعاءه الميت والغائب؛ إذ استقلال الشيخ بذلك التأثير أو فعله لما هو عاجز عنه غير قادر عليه أو غير

قاصد له متابعته أو مطاوعته علىٰ ذلك من البدع والمنكرات ونحو هذه المعاني الباطلة» ودعاء الميت والغائب شرك؛ فالميت عاجز عن نفع نفسه فكيف ينفع غيره؟!، والغائب مثله، وادعاء استقلالهما بنفع أو ضر ـ وحالهما كذلك ـ شرك.

يقول **المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ في موطن آخر مِنْ «فتاويه»[(١)]: «مثل[(٢)]: أن يكون رجل مقبورًا بمكان فيظن أن الله يتولاهم لأجله وإن لم يقوموا بطاعة الله ورسوله، فهذا جهل؛ فقد كان الرسول ﷺ سيد ولد آدم مدفونًا بالمدينة عام الحرة وقد أصاب أهل المدينة من القتل والنهب والخوف ما لا يعلمه إلَّا الله، وكان ذلك لأنهم بعد الخلفاء الراشدين أحدثوا أعمالًا أوجبت ذلك، وكان علىٰ عهد الخلفاء يدفع الله عنهم بإيمانهم وتقواهم؛ لأن الخلفاء الراشدين كانوا يدعونهم إلىٰ ذلك، وكان ببركة طاعتهم للخلفاء الراشدين وبركة عمل الخلفاء معهم ينصرهم الله ويؤيدهم، وكذلك الخليل عليه السلام مدفون بالشام وقد استولىٰ النصارىٰ علىٰ تلك البلاد قريبًا من مائة سنة وكان أهلها في شر، فمن ظن أن الميت يدفع عن الحي مع كون الحي عاملًا بمعصية الله فهو غالط».

○ قوله: **«والذي لا ريب فيه أن العمل بطاعة الله تعالىٰ ودعاء المؤمنين بعضهم لبعض ونحو ذلك»** من الأعمال الصالحة المشروعة **«هو نافع في الدنيا والآخرة»** لا هذه البدع والمنكرات التي يزعم فاعلها جلب النفع بسببها **«وذلك فضل الله ورحمته»**.

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١١/ ١١٤، ١١٥).
(٢) أي: من المعنىٰ الباطل.

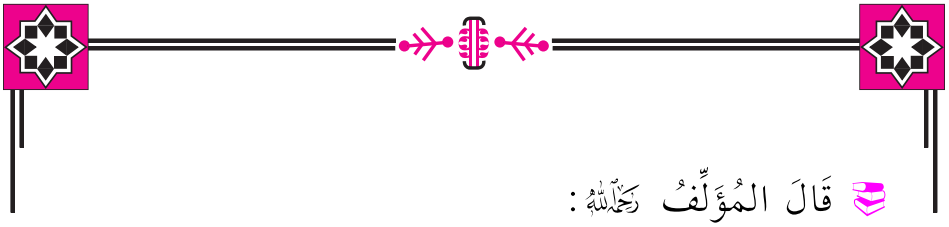

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وأما سؤال السائل عن القطب الغوث الفرد الجامع فهذا قد يقوله طوائف من الناس، ويفسِّرونه بأمور باطلة في دين الإسلام، مثل: تفسير بعضهم أن «الغوث» هو الذي يكون مدد الخلائق بواسطته في نصرهم ورزقهم، حتىٰ يقول: «إن مدد الملائكة وحيتان البحار بواسطته»، فهذا مِنْ جنس قول النصارىٰ في المسيح عليه السلام، والغالية في علي رضي الله عنه، وهذا كفر صريح يستتاب منه صاحبه، فإن تاب وإلَّا قتل؛ فإنه ليس من المخلوقات لا مَلَك ولا بشر يكون إمداد الخلائق بواسطته، ولهذا كان ما يقوله الفلاسفة في «العقول العشرة» الذين قد يزعمون أنها الملائكة وما يقوله النصارىٰ في المسيح ونحو ذلك كفر صريح باتفاق المسلمين.

وكذلك إن عني بالغوث ما يقوله بعضهم: مِنْ أن في الأرض ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا، وقد يسميهم «النجباء» فينتقىٰ منهم سبعون هم «النقباء»، ومنهم أربعون هم «الأبدال»، ومنهم سبعة هم «الأقطاب»، ومنهم أربعة هم «الأوتاد»، ومنهم واحد هو «الغوث»، وأنه مقيم بمكة، وأن أهل الأرض إذا نابتهم نائبة في رزقهم ونصرهم فزعوا إلىٰ الثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا، وأولئك يفزعون إلىٰ السبعين، والسبعون إلىٰ الأربعين، والأربعون إلىٰ السبعة، والسبعة إلىٰ الأربعة، والأربعة إلىٰ الواحد، وبعضهم قد يزيد في هذا وينقص في الأعداد والمراتب والأسماء؛ فإن لهم فيها مقالات متعددة، حتىٰ يقول بعضهم: «إنه ينزل من السماء علىٰ الكعبة ورقة

خضراء باسم «غوث الوقت»، واسم خضره ـ علىٰ قول مَنْ يقول منهم: إن الخضر هو مرتبة ـ وإن لكلِّ زمان خضرًا فإن لهم في ذلك قولين.

وهذا كله باطل لا أصل له في كتاب الله ولا في سنة رسوله، ولا قاله أحد من سلف الأمة ولا أئمتها، ولا من الشيوخ الكبار المتقدِّمين الذين يصلحون للاقتداء بهم، ومعلوم أن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان وعليًّا كانوا خير الخلق في زمانهم، وكانوا بالمدينة ولم يكونوا بمكة.

وقد روىٰ بعضهم حديثًا في هلال غلام المغيرة بن شعبة، وأنه أحد السبعة، والحديث كذب باتفاق أهل المعرفة، وإن كان قد روىٰ بعض هذه الأحاديث أبو نعيم في «حلية الأولياء» والشيخ أبو عبد الرحمن السلمي في بعض مصنفاته فلا يغتر بذلك؛ فإن فيه الصحيح والحسن والضعيف والموضوع والمكذوب الذي لا خلاف بين العلماء في أنه كذب موضوع، وتارة يرويه علىٰ عادة بعض أهل الحديث الذين يروون ما سمعوا ولا يميزون بين صحيحه وباطله، وكان أهل الحديث لا يروون مثل هذه الأحاديث؛ لما ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «من حدَّث عني بحديث وهو يرىٰ أنه كذب فهو أحد الكاذبين»».

﴿ الشَّرح ﴾

هذا جواب **السؤال السابع** من الأسئلة التي وجِّهت للمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو «فيمن قال: «إن ثَمَّ قطبًا غوثًا فردًا جامعًا في الوجود»، أي: ما حكم ذلك؟، ولا شك أن هذا مِنْ شرك الربوبية؛ لأنه جعله إلهًا يُدبِّر هذا الكون ويُصرِّفه.

○ قوله: «وأما سؤال السائل عن القطب الغوث الفرد الجامع فهذا قد يقوله طوائف من الناس» فتقوله **الصوفية**، فإذا كان هذا القطب يُفْزَع إليه ويتصرف في الكون فما بقي لله شيء !!، نسأل الله العافية، «ويفسِّرونه بأمور باطلة في دين الإسلام، مثل: تفسير بعضهم أن «الغوث» هو الذي يكون مدد الخلائق بواسطته في نصرهم ورزقهم، حتىٰ يقول: «إن مدد الملائكة وحيتان البحار بواسطته»، فهذا مِنْ جنس قول النصارىٰ في المسيح عليه السلام» حيث عبدوا المسيح، وقالوا: إنه ابن الله ـ تعالىٰ الله عن قولهم علوًّا كبيرًا ـ «والغالية» أي: غلاة **الشيعة** «في علي رضي الله عنه» وقالوا: «إنه هو الإله، وإن الله حلَّ فيه، وإنه هو المدبِّرُ للكون» «وهذا كفر صريح» واضح بيِّن لا لبس فيه، وهذا أشدُّ مِنْ كفر كفار قريش؛ فكفار قريش يؤمنون بأن الله هو الخالق الرازق المدبِّر المتصرف الذي يمد الخلائق، وكان كفرهم في شركهم في العبادة، أما هؤلاء فشركهم في الربوبية.

وحكمهم أنه «يستتاب منه صاحبه» والذي يستتيبه ولي الأمر إذا كان يعمل بالشريعة ويحكم بها، «فإن تاب وإلَّا قتل؛» وضربت عنقه، ولا يقتله سائر الناس؛ وإلا كانت المسألة فوضىٰ، أن كلُّ مَنْ كره شخصًا قتله وادَّعىٰ أنه تكلم بكلمة الكفر «فإنه ليس من المخلوقات لا مَلَك ولا بشر يكون إمداد الخلائق بواسطته، ولهذا كان ما يقوله الفلاسفة[1] في «العقول العشرة» الذين قد يزعمون أنها الملائكة» ويقولون: إن العقول العشرة تتصرف في الكون، ويزعم بعضهم أنها الملائكة، ويقولون إن العقل العاشر مثل جبريل، «وما يقوله النصارىٰ في المسيح ونحو ذلك كفر صريح باتفاق المسلمين.

(١) انظر: «منهاج السنة النبوية» (٥/ ٤٤٧)، و«مجموع الفتاوىٰ» (٩/ ١٠٤).

وكذلك إن عني بالغوث ما يقوله بعضهم» يعني: بعض **الصوفية** «مِنْ أن في الأرض ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا، وقد يسميهم «النجباء» فينتقىٰ منهم سبعون هم «النقباء»، ومنهم أربعون هم «الأبدال»، ومنهم سبعة هم «الأقطاب»، ومنهم أربعة هم «الأوتاد»، ومنهم واحد هو «الغوث»، وأنه مقيم بمكة، وأن أهل الأرض إذا نابتهم نائبة في رزقهم ونصرهم فزعوا إلىٰ الثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا، وأولئك يفزعون إلىٰ السبعين، والسبعون إلىٰ الأربعين، والأربعون إلىٰ السبعة، والسبعة إلىٰ الأربعة، والأربعة إلىٰ الواحد» فيرجع الثلاثمائة وبضعة عشر في النهاية إلىٰ واحد يُسمَّىٰ «الغوث»، «وبعضهم قد يزيد في هذا وينقص في الأعداد والمراتب والأسماء؛ فإن لهم فيها مقالات متعددة، حتىٰ يقول بعضهم: «إنه ينزل من السماء علىٰ الكعبة ورقة خضراء باسم «غوث الوقت»، واسم خضره ـ علىٰ قول مَنْ يقول منهم: إن الخضر هو مرتبة ـ وإن لكلِّ زمان خضرًا» لا أنه لا خضر إلا واحدًا وهو صاحب موسىٰ عليه السلام، وصاحب موسىٰ نبي علىٰ الصحيح[1] **فملاحدة الصوفية** يقولون: «لكلِّ زمان خضر»، وهذا كذب وضلال[2]، «فإن لهم في ذلك قولين» يقول بعضهم ما تقدَّم مِنْ أن في كلِّ زمان خضرًا، وبعضهم يقول: هو خضر واحد، وهو صاحب موسىٰ، وهو موجود باقٍ لم يمت.

○ قوله: «وهذا كله باطل لا أصل له في كتاب الله ولا في سنة رسوله، ولا قاله أحد من سلف الأمة ولا أئمتها، ولا من الشيوخ الكبار المتقدِّمين الذين يصلحون للاقتداء بهم، ومعلوم أن رسول

(١) انظر: «الإحكام» لابن حزم (٥/ ١٢٦)، و«فتح الباري» (١/ ٢١٩).
(٢) انظر: «منهاج السنة النبوية» (١/ ١٠٤).

الله ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان وعليًّا كانوا خير الخلق في زمانهم» خير الخلق بعد وفاة الرسول ﷺ أبو بكر الصديق، ثم خير الخلق بعده عمر، ثم خير الخلق بعده عثمان، ثم خير الخلق بعده علي، «وكانوا بالمدينة ولم يكونوا بمكة» وهذا ردٌّ علىٰ مَنْ يقول: «إن الغوث لا يكون إلَّا بمكة»، «وقد روىٰ بعضهم حديثًا في هلال غلام المغيرة بن شعبة، وأنه أحد السبعة[١]، والحديث كذب باتفاق أهل المعرفة، وإن كان قد روىٰ بعض هذه الأحاديث أبو نعيم في «حلية الأولياء»[٢] والشيخ أبو عبد الرحمن السلمي في بعض مصنفاته[٣] فلا يغتر بذلك؛ فإن فيه الصحيح والحسن والضعيف والموضوع والمكذوب الذي لا خلاف بين العلماء في أنه كذب موضوع، وتارة يرويه علىٰ عادة بعض أهل الحديث الذين يروون ما سمعوا ولا يميزون بين صحيحه وباطله» فيعذرون، وكان الناس قديمًا عندهم علم يميزون به بين الصحيح والسقيم، فإذا ذكر لهم المصنف السندَ فقد أحالهم وبرئ من العهدة، «وكان أهل الحديث» المحققون منهم «لا يروون مثل هذه الأحاديث؛ لما ثبت في «الصحيح»[٤] عن النبي

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في «تنوير الغبش في فضل السودان والحبش» رقم (٦٣).
وقال ابن تيمية: «وقد روىٰ بعضهم حديثًا في أبي لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة وأنه أحد السبعة، وهو كذب باتفاق أهل المعرفة». «مختصر الفتاوىٰ المصرية» (ص ١٩٨).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (١/ ٨، ٩).

(٣) انظر: «طبقات الصوفية» (ص ٢١).
وقد جمع **السيوطي** الأحاديث والآثار المرفوعة والموقوفة علىٰ الصحابة الأبرار والتابعين في رسالة مستقلة سماها «الخبر الدال علىٰ وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال» مطبوعة ضمن «الحاوي للفتاوىٰ» (٢/ ٢٩١ ـ ٣٠٧).

(٤) أخرجه مسلم، المقدمة، (١/ ٩) من حديث سمرة والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما معًا.

ﷺ أنه قال: «من حدَّث عني بحديث وهو يرىٰ أنه كذب فهو أحد الكاذبين»» وضبطت كلمة «يرىٰ» بضم الياء وبفتحها، فعلىٰ الضم بمعنىٰ الظن، فبمجرد ظنه أنه كذب يكون شريكًا للكاذب المخترع، وبفتحها بمعنىٰ العلم، وضبطت «الكاذبين» بكسر الباء وفتح النون علىٰ الجمع، وبفتح الباء وكسر النون علىٰ التثنية[1].

(١) انظر: شرح النووي علىٰ «صحيح مسلم» (١/ ٦٤، ٦٥).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وبالجملة: فقد علم المسلمون كلهم أن ما ينزل بالمسلمين من النوازل في الرغبة والرهبة مثل دعائهم عند الاستسقاء لنزول الرزق، ودعائهم عند الكسوف، والاعتداد لرفع البلاء، وأمثال ذلك إنما يدعون في مثل ذلك الله وحده لا يشركون به شيئًا، لم يكن للمسلمين قط أن يرجعوا بحوائجهم إلىٰ غير الله ﷻ، بل كان المشركون في جاهليتهم يدعون الله بلا واسطة فيجيبهم، أفتراهم بعد التوحيد والإسلام لا يجيب دعاءهم إلَّا بهذه الواسطة التي ما أنزل الله بها من سلطان؟!، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾ [يونس: ١٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنعام: ٤٠-٤١]، وقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنعام: ٤٢-٤٣]، والنبي ﷺ استسقىٰ لأصحابه، وصلىٰ بهم للاستسقاء، وصلاة الكسوف، وكان يقنت في صلاته فيستنصر علىٰ المشركين، وكذلك خلفاؤه الراشدون بعده، وكذلك أئمة الدين ومشايخ المسلمين، وما زالوا علىٰ هذه الطريقة، ولهذا يقال: ثلاثة أشياء ما لها مِنْ أصل، باب النصيرية، ومنتظر الرافضة، وغوث الجهال؛ فإن النصيرية تدعي في الباب الذي هو

لهم ما هو من هذا الجنس، وأنه الذي يقيم العالم فذلك شخصه موجود، لكن دعوىٰ النصيرية فيه باطلة، وأما محمد بن الحسن المنتظر والغوث المقيم بمكة ونحو هذا فإنه باطل ليس له وجود.

وكذلك ما يزعمه بعضهم مِنْ أن القطب الغوث الجامع يمد أولياء الله ويعرفهم كلهم ونحو هذا فهذا باطل، فأبو بكر وعمر رضىٰ الله عنهما لم يكونا يعرفان جميع أولياء الله تعالىٰ ولا يمدانهم، فكيف بهؤلاء الضالين المفترين الكذابين ؟!، ورسول الله ﷺ سيد ولد آدم إنما يعرف الذين لم يكن رآهم مِنْ أمته بسيما الوضوء ـ وهو الغرة والتحجيل ـ، ومِنْ هؤلاء مِنْ أولياء الله مَنْ لا يحصيه إلَّا الله تعالىٰ، وأنبياء الله الذين هو إمامهم وخطيبهم لم يكن يعرف أكثرهم، بل قال الله تعالىٰ له: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]، وموسىٰ لم يكن يعرف الخضر، والخضر لم يكن يعرف موسىٰ، بل لما سلَّمَ عليه موسىٰ قال له الخضر: «وأنىٰ بأرضك السلام»، فقال له: «أنا موسىٰ»، قال: «موسىٰ بني إسرائيل ؟»، قال: «نعم»، فكان قد بلغه اسمه وخبره ولم يكن يعرف عينه، ومَنْ قال: «إنه نقيب الأولياء» و«إنه يعلمهم كلهم» فقد قال الباطل.

والصواب الذي عليه المحققون: أنه ميت، وأنه لم يدرك الإسلام، ولو كان موجودًا في زمن النبي ﷺ لوجب عليه أن يؤمن به ويجاهد معه، كما أوجب الله ذلك عليه وعلىٰ غيره، ولكان يكون في مكة والمدينة، ولكان يكون حضوره مع الصحابة للجهاد معهم وإعانتهم علىٰ الدين أولىٰ به مِنْ حضوره عند قوم كفار ليرقع لهم سفينتهم، ولم يكن عن خير أمة أخرجت للناس محتفيًا، وهو قد كان بين المشركين ولم يحتجب عنهم، ثم ليس للمسلمين به وبأمثاله حاجة لا في دينهم ولا دنياهم؛ فإن دينهم أخذوه عن الرسول النبي

الأمي ﷺ الذي علَّمهم الكتاب والحكمة، وقال لهم نبيهم: «لو كان موسىٰ حيًّا ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم»، وعيسىٰ ابن مريم عليه السَّلام إذا نزل من السماء إنما يحكم فيهم بكتاب ربهم وسنة نبيهم، فأي حاجة لهم مع هذا إلىٰ الخضر وغيره؟!، والنبي ﷺ قد أخبرهم بنزول عيسىٰ من السماء وحضوره مع المسلمين، وقال: «كيف تهلك أمة أنا في أولها وعيسي في آخرها؟!»، فإذا كان هذان النبيان الكريمان اللذان هما مع إبراهيم وموسىٰ ونوح أفضل الرُّسُل ومحمد ﷺ سيد ولد آدم ولم يحتجبوا عن هذه الأمة لا عوامهم ولا خواصهم، فكيف يحتجب عنهم مَنْ ليس مثلهم؟!، وإذا كان الخضر حيًّا دائمًا فكيف لم يذكر النبي ﷺ ذلك قط ولا أخبر به أمته ولا خلفاؤه الراشدون؟!.

وقول القائل: «إنه نقيب الأولياء»، فيقال له: «مَنْ ولَّاه النقابة وأفضل الأولياء أصحاب محمد ﷺ؟!، وليس فيهم الخضر»، وعامة ما يحكىٰ في هذا الباب من الحكايات بعضها كذب، وبعضها مبني علىٰ ظن رجال، مثل: شخص رأىٰ رجلًا ظن أنه الخضر، وقال: «إنه الخضر»، كما أن الرافضة ترىٰ شخصًا تظن أنه الإمام المنتظر المعصوم أو تدعي ذلك، ويروىٰ عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال ـ وقد ذُكِرَ له الخضر ـ: «مَنْ أحالك علىٰ غائب، فما أنصفك»، وما ألقىٰ هذا علىٰ ألسن الناس إلَّا الشيطان، وقد بسطنا الكلام علىٰ هذا في غير هذا الموضع».

﴿ الشَّرح ﴾

استطرد **المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الموضوع، وحقق الكلام فيه وأجاده، فينبغي لطالب العلم أن يعتني به ويتمعن هذه المعاني؛ فهو كلام يكتب بماء الذهب.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وبالجملة**» يعني: الخلاصة مما تقدَّم: «**فقد علم المسلمون كلهم أن ما ينزل بالمسلمين من النوازل في الرغبة والرهبة مثل دعائهم عند الاستسقاء لنزول الرزق، ودعائهم عند الكسوف، والاعتداد لرفع البلاء، وأمثال ذلك إنما يدعون في مثل ذلك الله وحده لا يشركون به شيئًا، لم يكن للمسلمين قط أن يرجعوا بحوائجهم إلىٰ غير الله** عَزَّوَجَلَّ» المسلمون متيقنون أنه إذا نزلت بهم نازلة في شيء يرغبون فيه أو يخافون منه إنما يفزعون إلىٰ الله تعالىٰ، وهذا معلوم من الدين بالضرورة، فلا يفزعون إلىٰ قطب ولا غوث ولا نجباء ولا أنداد، فإذا حصل الجدب والقحط فزعوا إلىٰ الله ودعوه وصلوا صلاة الاستسقاء، «**بل كان المشركون في جاهليتهم يدعون الله بلا واسطة**» وخصوصًا إذا ركبوا البحر وتلاطمت بهم الأمواج، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢] «**فيجيبهم**» لضرورتهم، فالله يجيب المضطر كما قال تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢]، «**أفتراهم بعد التوحيد والإسلام لا يجيب دعاءهم إلَّا بهذه الواسطة التي ما أنزل الله بها من سلطان؟!**» هذا لا يمكن «**قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾** [يونس: ١٢]» والشاهد في الآية: أن الله كشف ضره بدون واسطة، «**وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾** [الإسراء: ٦٧]، **وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾** [الأنعام: ٤٠-٤١]» فإذا أتاهم عذاب الله يدعونه فيكشف ما بهم وينسون

ما يشركون به من الوسائط التي يدعونها، **«وقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾** [الأنعام: ٤٢-٤٣]، **والنبي ﷺ استسقىٰ لأصحابه، وصلىٰ بهم للاستسقاء[(١)]، وصلاة الكسوف[(٢)]، وكان يقنت في صلاته فيستنصر علىٰ المشركين[(٣)]»** يقنت ﷺ يدعو عليهم والصحابة يؤمِّنون، **«وكذلك خلفاؤه الراشدون بعده، وكذلك أئمة الدين ومشايخ المسلمين، وما زالوا علىٰ هذه الطريقة»** فيستسقون ويقنتون، ولا يسألون إلَّا الله تعالىٰ، **«ولهذا يقال: ثلاثة أشياء ما لها مِنْ أصل، باب النصيرية»** يرىٰ **النصيرية** أن إمامهم **محمد بن نصير البصري النميري** هو الباب للإمام الحادي عشر الحسن العسكري؛ ليتمكن هو وزملاؤه من الاحتيال علىٰ عوام الشيعة وأغنيائهم بتحصيل الزكاة منهم باسم إمام موجود، **«ومنتظر الرافضة»** وهو الإمام الثاني عشر عندهم **محمد بن الحسن العسكري**، وقد زعموا أنه دخل السرداب وهو صغير، وأنه سيخرج يخلص العالم، فهم ينتظرونه.

وأما لفظ «الرَّافضة» فهذا اللفظ أول ما ظهر في الإسلام لمَّا

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الاستسقاء، باب «الدعاء في الاستسقاء قائمًا»، رقم (١٠٢٣)، ومسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، رقم (٨٩٤) من حديث عبد الله بن زيد المازني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب «صلاة الكسوف في المسجد»، رقم (١٠٥٦)، ومسلم، كتاب الكسوف، رقم (٩٠٣) من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الوتر، باب «القنوت قبل الركوع وبعده»، رقم (١٠٠٢)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٦٧٧) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

خرج **زيد بن علي بن الحسين** في أوائل المئة الثانية في خلافة **هشام بن عبدالملك** واتبعه الشيعة، فسُئِلَ عن أبىٰ بكر وعمر فتولاهما وترحَّم عليهما فرفضه قوم، **فقال**: «رفضتموني، رفضتموني» فسُمُّوا «الرافضة»(١).

وكانوا قبل ذلك يُسمَّون «**الخشبية**» لأنهم كانوا لا يُقاتلون إلَّا بالخشب، ليس عندهم جهاد ولا قتال بالسيف حتىٰ يخرج **المهدي المنتظر** من السرداب الذي دخله في سامراء بالعراق سنة ستين ومائتين من الهجرة ولم يخرج إلىٰ الآن، ويزعمون أنه **الإمام الثاني عشر** من نسل **الحسين بن علي**.

ويقولون: هؤلاء الأئمة الاثني عشر معصومون، ونصَّ الرسول ﷺ أنهم الأئمة بعده، **أولهم علي بن أبي طالب**، ثم **الثاني الحسن بن علي الإمام**، ثم **الثالث الحسين بن علي**، ثم بقية التسعة كلهم من نسل **الحسين**، **الرابع علي بن حسين زين العابدين**، ثم **الخامس محمد بن علي الباقر**، ثم **السادس جعفر بن محمد الصادق**، ثم **السابع موسىٰ بن جعفر الكاظم**، ثم **الثامن علي بن موسىٰ الرضا**، ثم **التاسع محمد بن علي الجواد**، ثم **العاشر علي بن محمد الهادي**، ثم **الحادي عشر الحسن بن علي العسكري**، ثم **الثاني عشر محمد بن الحسن** الخلف الحجة **المهدي المنتظر** الذي دخل سرداب سامراء في العراق «**وغوث الجهال؛ فإن النصيرية تدعي في الباب الذي هو لهم ما هو من هذا الجنس، وأنه الذي يقيم العالم فذلك شخصه موجود، لكن دعوىٰ النصيرية فيه باطلة، وأما محمد بن الحسن المنتظر والغوث المقيم بمكة ونحو هذا فإنه باطل ليس له وجود.**

وكذلك ما يزعمه بعضهم مِنْ أن القطب الغوث الجامع يمد

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٣/ ٣٥، ٣٦).

أولياء الله ويعرفهم كلهم ونحو هذا فهذا باطل، فأبو بكر وعمر ﷺ لم يكونا يعرفان جميع أولياء الله تعالىٰ ولا يمدانهم، فكيف بهؤلاء الضالين المفترين الكذابين؟!، ورسول الله ﷺ سيد ولد آدم إنما يعرف الذين لم يكن رآهم مِنْ أمته بسيما الوضوء ـ وهو الغرة والتحجيل[1] ـ، ومِنْ هؤلاء مِنْ أولياء الله مَنْ لا يحصيه إلَّا الله تعالىٰ» يزعمون أن هناك قطبًا وغوثًا يمد أولياء الله، ويعرفهم كلَّهم لا يخفىٰ عليه واحد منهم، ورسول الله ﷺ ـ وهو سيد الخلق ـ يعرف مَنْ يأتي مِنْ أمته بعده بآثار الوضوء، فكيف يكون هذا الغوث يعرف كلَّ أحد منهم بعينه؟!، وكذلك أبو بكر وعمر ﷺ وهما أفضل الأولياء بعد الأنبياء؟!، «وأنبياء الله الذين هو» يعني: محمد ﷺ «إمامهم وخطيبهم لم يكن يعرف أكثرهم، بل قال الله تعالىٰ له: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]» حتىٰ الأنبياء فيعرف ﷺ بعضهم ولا يعرف البعض؛ لأنهم لم يقصوا عليه، «وموسىٰ لم يكن يعرف الخضر» بل رحل إليه ولم يكن يعرفه مِنْ قبل، «والخضر لم يكن يعرف موسىٰ، بل لما سلَّمَ عليه موسىٰ قال له الخضر: «وأنىٰ بأرضك السلام»، فقال له: «أنا موسىٰ»، قال: «موسىٰ بني إسرائيل؟»، قال: «نعم»[2]، فكان قد بلغه اسمه وخبره ولم يكن يعرف عينه» فلم يكن يعرف موسىٰ الخضرَ، وهم يقولون: «إن الولي يعلم جميع

(١) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، رقم (٢٤٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب «ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم فيكل العلم إلىٰ الله»، رقم (١٢٢)، ومسلم، كتاب الفضائل، رقم (٢٣٨٠) من حديث أبي بن كعب ﷺ.

الأولياء»، ولم يكن يعرف الخضرُ موسىٰ كذلك، «ومَنْ قال: «إنه» أي: الخضر «نقيب الأولياء» و«إنه يعلمهم» أي: الأولياء «كلهم فقد قال الباطل.

والصواب الذي عليه المحققون: أنه ميت، وأنه لم يدرك الإسلام» **فالصواب** أن الخضر ميت للأدلة الصحيحة، **ومنها**: «لو كان موجودًا في زمن النبي ﷺ لوجب عليه أن يؤمن به ويجاهد معه، كما أوجب الله ذلك عليه وعلىٰ غيره» فلو كان موجودًا للقىٰ النبي ﷺ وآمن به، واتبعه وجاهد معه، وقد أخذ الله تعالىٰ الميثاق علىٰ الأنبياء لئن بعث محمد ﷺ يتبعونه ولا ينصرونه كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عِمرَان: ٨١]

الدليل الثاني: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنبيَاء: ٣٤]، والذين يقولون: «إنه حي» يقولون: هو ليس مخلدًا، لكنه معمر وسيموت.

الدليل الثالث: ما ثبت في «الصحيحين»[(١)] أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: صَلَّىٰ بِنَا النَّبِيُّ ﷺ الْعِشَاءَ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ فَقَالَ: «**أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ، فَإِنَّ رَأْسَ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لَا يَبْقَىٰ مِمَّنْ هُوَ عَلَىٰ ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ**»، فإن كان الخضر موجودًا في عهد النبي ﷺ لمات بعد مائة سنة من هذه المقولة.

الدليل الرابع: ما ثبت في «صحيح مسلم»[(٢)] قال عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب «السمر في العلم»، رقم (١١٦)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٥٣٧).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، رقم (١٧٦٣).

رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ «**اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ**»، وهذه العِصابة أهل بدر، وكانوا ثلاثمائة وتسعة عشر رجلًا معروفين بأسمائهم وأسماء آبائهم، وليس منهم الخضر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ بعد أن سرد الروايات الواردة في شأنه: «وهذه الروايات والحكايات هي عمدة مَنْ ذهب إلىٰ حياته إلىٰ اليوم، وكل من الأحاديث المرفوعة ضعيفة جدًّا لا يقوم بمثلها حجة في الدين، والحكايات لا يخلو أكثرها عن ضعف في الاسناد، وقصاراها أنها صحيحة إلىٰ مَنْ ليس بمعصوم مِنْ صحابي أو غيره؛ لأنه يجوز عليه الخطأ، والله أعلم»[(١)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «الأحاديث التي يذكر فيها الخضر وحياته كلها كذب ولا يصح في حياته حديث واحد»[(٢)].

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «والذي تميل إليه النفس مِنْ حيث الأدلة القوية خلاف ما يعتقده العوام من استمرار حياته»[(٣)].

○ قوله: «**ولكان يكون في مكة والمدينة، ولكان يكون حضوره مع الصحابة للجهاد معهم وإعانتهم علىٰ الدين أولىٰ به مِنْ حضوره عند قوم كفار ليرقع لهم سفينتهم**» فإن كان حيًّا في عهد النبي ﷺ فكيف يختفي ولا يأتي إليه ﷺ؟!، أيهما أولىٰ كونه يأتي إلىٰ النبي ﷺ ويجاهد معه أو يرقع سفينة قوم كافرين الذين ركب هو

(١) «البداية والنهاية» (١/ ٣٣٤).
(٢) «المنار المنيف» (ص ٦٧).
(٣) «الزهر النضر في أخبار الخضر» (ص ١٦٢).

وموسىٰ معهم؟!، «ولم يكن عن خير أمة أخرجت للناس محتفيًا، وهو قد كان بين المشركين ولم يحتجب عنهم، ثم ليس للمسلمين به وبأمثاله حاجة لا في دينهم ولا دنياهم؛ فإن دينهم أخذوه عن الرسول النبي الأمي صلىٰ الله عليه وآله وسلم الذي علَّمهم الكتاب والحكمة، وقال لهم نبيهم: «لو كان موسىٰ حيًّا ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم»[(١)]، وعيسىٰ ابن مريم عليه السلام إذا نزل من السماء» في آخر الزمان[(٢)]، ونزوله من أشراط الساعة الكبار «إنما يحكم فيهم بكتاب ربهم وسنة نبيهم» فإذا نزل عيسىٰ يكون فردًا من أفراد الأمة المحمدية، يحكم بشريعة النبي ﷺ لا يحكم بشريعته هو؛ فشريعته نسخت ببعثة النبي ﷺ، «فأي حاجة لهم مع هذا إلىٰ الخضر وغيره؟!، والنبي ﷺ قد أخبرهم بنزول عيسىٰ من السماء وحضوره مع المسلمين، وقال: «كيف تهلك أمة أنا في أولها وعيسي في آخرها؟!»[(٣)]، فإذا كان هذان النبيان الكريمان» يعني: عيسىٰ ومحمد «اللذان هما مع إبراهيم وموسىٰ ونوح أفضل الرُّسُل» وهما تكملة الخمسة، فألوا العزم نوح، وإبراهيم، وموسىٰ، وعيسىٰ، ومحمد عليهم الصَّلاة والسَّلام، وقد ذكرهم الله تعالىٰ في سورتين في كتابه، في سورة «الأحزاب» قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ۝٧﴾ [الأحزاب: ٧]، وفي سورة «الشورىٰ» قال تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٧٠) من حديث عبد الله بن ثابت رضي الله عنه.
قال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني، ورجاله رجال الصحيح إلَّا أن فيه **جابر الجعفي** وهو ضعيف». «مجمع الزوائد» (١/ ١٧٣)

(٢) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب «قتل الخنزير»، رقم (٢٢٢٢)، ومسلم، كتاب، الإيمان، رقم (١٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (٥/ ٣٩٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ [الشورىٰ: ١٣]، «ومحمد ﷺ سيد ولد آدم[١] ولم يحتجبوا عن هذه الأمة لا عوامهم ولا خواصهم، فكيف يحتجب عنهم مَنْ ليس مثلهم؟!» أفضل الناس محمد ﷺ ولم يحتجب عن الناس، وكذا عيسىٰ عليه السلام وأولوا العزم الباقون ما احتجبوا عن الناس لا عن العوام ولا الخواص، فكيف يحتجب مَنْ هو أدنىٰ منهم منزلة؟!، «وإذا كان الخضر حيًّا دائمًا فكيف لم يذكر النبي ﷺ ذلك قط ولا أخبر به أمته ولا خلفاؤه الراشدون؟!.

وقول القائل: «إنه نقيب الأولياء»، فيقال له: «مَنْ ولَّاه النقابة» فهذه الولاية تحتاج إلىٰ دليل، «وأفضل الأولياء أصحاب محمد ﷺ؟!، وليس فيهم الخضر»، وعامة ما يحكىٰ في هذا الباب من الحكايات بعضها كذب، وبعضها مبني علىٰ ظن رجال، مثل: شخص رأىٰ رجلًا ظن أنه الخضر، وقال: «إنه الخضر»، كما أن الرافضة ترىٰ شخصًا تظن أنه الإمام المنتظر المعصوم أو تدعي ذلك، ويروىٰ عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال ـ وقد ذُكِرَ له الخضر ـ: «مَنْ أحالك علىٰ غائب، فما أنصفك»» وما نفعك بشيء؛ ما تستفيد من غائب؟!، «وما ألقىٰ هذا علىٰ ألسن الناس إلَّا الشيطان، وقد بسطنا الكلام علىٰ هذا في غير هذا الموضع[٢]» وذلك لسعة علمه، أحيانًا يبسط الكلام وأحيانًا يختصر، وما ذكره رحمه الله فيه كفاية.

(١) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، رقم (٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٣٣٨ - ٣٤٠).

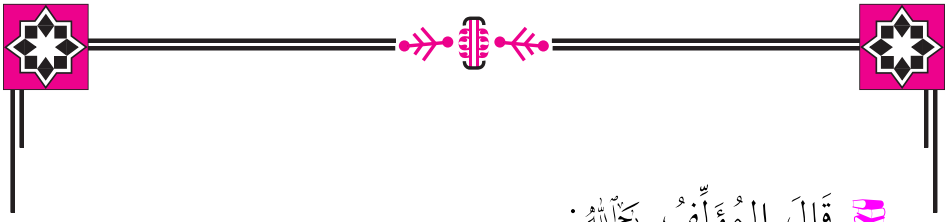

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وأما إن قصد القائل بقوله «القطب الغوث الفرد الجامع» أنه رجل يكون أفضل أهل زمانه فهذا ممكن، لكن من الممكن أيضًا أن يكون في الزمان اثنان متساويان في الفضل وثلاثة وأربعة، ولا يجزم بأن لا يكون في كلِّ زمان أفضل الناس إلَّا واحد، وقد تكون جماعة بعضهم أفضل مِنْ بعض مِنْ وجه وبعضهم أفضل مِنْ بعض بوجه، وتلك الوجوه إما متقاربة وإما متساوية.

ثم إذا كان في الزمان رجل هو أفضل أهل الزمان فتسميته «القطب الغوث الفرد الجامع» بدعة ما أنزل الله بها مِنْ سلطان، ولا تكلَّم بهذا أحد مِنْ سلف الأمة وأئمتها، وما زال السلف يظنون في بعض الناس أنه أفضل أو مِنْ أفضل أهل زمانه ولا يطلقون عليه هذه الأسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان، لا سيما أن مِنْ المنتحلين لهذا الاسم مَنْ يدَّعي أن أول هؤلاء الأقطاب هو الحسن بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ثم يتسلسل الأمر إلىٰ ما دونه إلىٰ بعض المشايخ المتأخرين، وهذا لا يصح لا علىٰ مذهب أهل السنة ولا علىٰ مذهب الرافضة؛ فأين أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار؟!، والحسن عند وفاة النبي ﷺ قد كان قارب سن التمييز ويليه الاحتلام.

وقد حكي عن بعض الأكابر مِنَ الشيوخ المنتحلين لهذا أن «القطب الفرد الغوث الجامع» ينطبق علمه علىٰ علم الله تعالىٰ وقدرته

علىٰ قدرة الله تعالىٰ، فيعلم ما يعلمه الله ويقدر علىٰ ما يقدر عليه الله، وزعم أن النبي ﷺ كان كذلك، وأن هذا انتقل عنه إلىٰ الحسن، ويسلسل إلىٰ شيخه، فبيَّنت له أن هذا كفر صريح وجهل قبيح، وأن دعوىٰ هذا في رسول الله ﷺ كفر دع مَنْ سواه، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وقال تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وقال تعالىٰ: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ الآية [آل عمران: ١٥٤]، وقال تعالىٰ: ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقال تعالىٰ: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران: ١٢٧-١٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦]، والله ﷻ قد أمرنا أن نطيع رسوله ﷺ فقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وأمرنا أن نتبعه فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، وأمرنا أن نعزره ونوقره وننصره، وجعل له من الحقوق ما بيَّنَهُ في كتابه وسنة رسوله، حتىٰ أوجب علينا أن يكون أحب إلينا من أنفسنا وأهلينا، فقال تعالىٰ: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، وقال ﷻ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤]، وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه

مِنْ ولده ووالده والناس أجمعين»، وقال له عمر ﷺ: «يا رسول الله، والله لأنت أحب إليَّ مِنْ كلِّ شيء إلَّا مِنْ نفسي»، فقال: «لا يا عمر، حتىٰ أكون أحب إليك مِنْ نفسك»، قال: «فأنت أحب إليَّ مِنْ نفسي»، قال: «الآن يا عمر»، وقال: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، مَنْ كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومَنْ كان يحب المرء لا يحبه إلَّا لله، ومَنْ كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقىٰ في النار»، وقد بيَّن في كتابه حقوقه التي لا تصلح إلَّا له، وحقوق رسوله، وحقوق المؤمنين بعضهم علىٰ بعض، كما بسطنا الكلام علىٰ ذلك في غير هذا الموضع، وذلك مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النُّور: ٥٢]، فالطاعة لله والرسول والخشية والتقوىٰ لله وحده، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [التّوبَة: ٥٩] فالإيتاء لله والرسول والرغبة لله وحده، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحَشر: ٧]؛ لأن الحلال ما أحله الله ورسوله، والحرام ما حرَّمه الله ورسوله، وأما الحسب فهو لله وحده كما قال: ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ [التّوبَة: ٥٩]، ولم يقولوا: «حسبنا الله ورسوله»، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنفَال: ٦٤] أي: يكفيك الله ويكفي من اتبعك من المؤمنين، وهذا هو الصواب المقطوع به في معنىٰ هذه الآية، ولهذا كانت كلمة إبراهيم ومحمد عليهما الصَّلاة والسَّلام «حسبنا الله ونعم الوكيل».

ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العلي العظيم، والحمد لله وحده، والله ﷻ أعلم وأحكم.

وصلىٰ الله علىٰ خير خلقه سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم».

﴿ الشَّرح ﴾

يناقش **المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ هذه المقالة، وهي قول القائل «إنه نقيب الأولياء»، وتقدَّم هذا.

ثم قال مبيِّنًا احتمالًا آخر قد يقصده مَنْ قال هذا **فقال**: «وأما إن قصد القائل بقوله «القطب الغوث الفرد الجامع» أنه رجل يكون أفضل أهل زمانه فهذا ممكن، لكن من الممكن أيضًا أن يكون في الزمان اثنان متساويان في الفضل وثلاثة وأربعة»، فمن الذي أخبرك أنه أفضل أهل زمانه؟!، فهذا قول بلا علم، «ولا يجزم بأن لا يكون في كلِّ زمان أفضل الناس إلَّا واحد، وقد تكون جماعة بعضهم أفضل مِنْ بعض مِنْ وجه» في العلم مثلًا «وبعضهم أفضل مِنْ بعض بوجه» في الشجاعة مثلًا «وتلك الوجوه إما متقاربة وإما متساوية.

ثم إذا كان في الزمان رجل هو أفضل أهل الزمان فتسميته «القطب الغوث الفرد الجامع» بدعة ما أنزل الله بها مِنْ سلطان، ولا تكلَّم بهذا أحد مِنْ سلف الأمة وأئمتها، وما زال السلف يظنون في بعض الناس أنه أفضل أو مِنْ أفضل أهل زمانه ولا يطلقون عليه هذه الأسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان» فلو فرضنا جدلًا أنك تقصد بـ«القطب الغوث» أنه أفضل أهل زمانه ـ وهو كذلك في نفس الأمر ـ فكيف تسميه بهذه التسمية البدعية التي ما أنزل الله بها من سلطان، ولا تكلم بها أحد من سلف الأمة ولا أئمتها، وما زال السلف يعرفون أن بعض الناس من أفضل أهل زمانه وأورعهم وأعلمهم، ولكنهم لا يسمونه قطبًا ولا غوثًا، وفي زماننا هذا **سماحة**

الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ من أفضل الناس وأعلمهم وأورعهم، ولكن لا نسميه قطب الزمان ولا غوثه، ولا الفرد الجامع، «**لا سيما أن مِنْ المنتحلين لهذا الاسم**» من **الصوفية** وغيرهم «**مَنْ يدَّعي أن أول هؤلاء الأقطاب هو الحسن بن علي بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، **ثم يتسلسل الأمر إلىٰ ما دونه إلىٰ بعض المشايخ المتأخرين، وهذا لا يصح لا علىٰ مذهب أهل السنة ولا علىٰ مذهب الرافضة**» أما بطلانه علىٰ قول **أهل السنة** فلأنهم لا يقولون بأن هناك قطبًا ولا غوثًا أصلًا، وأما بطلانه علىٰ قول **الرافضة** فلأنهم يرون أنه خاصٌّ بالأئمة الذين ولوا الإمامة لا تنتقل عنهم إلىٰ غيرهم، «**فأين أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار؟!، والحسن عند وفاة النبي** ﷺ **قد كان قارب سن التمييز ويليه الاحتلام**» فالذي يقول إن الحسن بن علي هو القطب والغوث الأول، فالحسن عند وفاة النبي ﷺ كان صغيرًا قارب سن التمييز ويليه الاحتلام، وأبو بكر وعمر خير منه وعثمان كذلك، فكيف يكون أفضل أهل زمانه ولمّا يميز بعد؟!، «**وقد حكي عن بعض الأكابر مِنَ الشيوخ**» يعني: شيوخ **الصوفية** «**المنتحلين لهذا أن «القطب الفرد الغوث الجامع» ينطبق علمه علىٰ علم الله تعالىٰ وقدرته علىٰ قدرة الله تعالىٰ، فيعلم ما يعلمه الله ويقدر علىٰ ما يقدر عليه الله، وزعم أن النبي** ﷺ **كان كذلك، وأن هذا انتقل عنه إلىٰ الحسن، ويسلسل إلىٰ شيخه، فبيَّنت له أن هذا كفر صريح**»؛ لأنه زعم أن مخلوقًا ـ ولو كان رسول الله ﷺ ـ يساوي الله عَزَّوَجَلَّ في صفاته مِنْ كلِّ وجه «**وجهل قبيح، وأن دعوىٰ هذا في رسول الله** ﷺ **كفر دع مَنْ سواه**».

ثم ذكر **المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ نصوصًا من كتاب الله تعالىٰ تدل علىٰ أن الله تعالىٰ مختص بكمال العلم والقدرة، وأنه لا يشاركه أحد في علمه وقدرته، **فقال**: «**وقد قال الله تعالىٰ**» لنبيه محمد ﷺ: «﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠]» يعني: لا أدعيها، فليس عندي علم الغيب ولا خزائن الله؛ فالله هو المختص بذلك، فكيف يقال: إن الرسول يعلم ما يعلمه الله، ويقدر علىٰ ما يقدر عليه الله؟!، «**وقال تعالىٰ**: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف: ١٨٨]» فإذا أمر الله نبيه ﷺ أن يقول لهم: «إني لا أملك لنفسي نفعًا ولا ضرًا»، فكيف يملكه لغيره؟!، «**وقال تعالىٰ**: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ الآية [آل عمران: ١٥٤]، **وقال تعالىٰ**: ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]» لا يمكن أن يشاركه أحد فيه، «**وقال تعالىٰ**: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران: ١٢٧-١٢٨]»

نزلت هذه الآية لما اشتد أذىٰ قريش علىٰ النبي ﷺ ودعا علىٰ بعض الصناديد، ففي «صحيح البخاري»[1] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ الرُّكُوعِ مِنْ الرَّكْعَةِ الْآخِرَةِ مِنْ الْفَجْرِ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا**» بَعْدَ مَا يَقُولُ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ»، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب «﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران: ١٢٨]» رقم (٤٠٦٩).

شَيْءٌ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٢٨]، فإذا كان هذا حال الرسول ﷺ فكيف بغيره؟!، «**وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾** [القَصَص: ٥٦]» ونزلت في أبي طالب لما مات علىٰ الشِّرك وحَزِنَ عليه النبي ﷺ، ففي «الصحيحين»(١) عَنْ ابْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ أَبَا طَالِبٍ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: «**أَيْ عَمِّ، قُلْ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»؛ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**»، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُاللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: «يَا أَبَا طَالِبٍ، تَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِالْمُطَّلِبِ؟!»، فَلَمْ يَزَالَا يُكَلِّمَانِهِ حَتَّىٰ قَالَ آخِرَ شَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ: «عَلَىٰ مِلَّةِ عَبْدِالْمُطَّلِبِ»، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْهُ**»، فَنَزَلَتْ ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التّوبَة: ١١٣]، وَنَزَلَتْ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القَصَص: ٥٦]، وهذه الهداية المنفية هي هداية التوفيق والتسديد، وأما هداية الدلالة والإرشاد فيملكها النبي ﷺ وكلُّ داع علىٰ بصيرة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشّورىٰ: ٥٢]، «**والله ﷻ قد أمرنا أن نطيع رسوله** فقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النِّسَاء: ٨٠]، وأمرنا أن نتبعه فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: ٣١]» وفيها الأمر بمحبته، «**وأمرنا أن نعزره ونوقره وننصره، وجعل له من الحقوق ما بيَّنَهُ في كتابه وسنة رسوله، حتىٰ أوجب علينا أن يكون أحب إلينا من أنفسنا وأهلينا، فقال تعالىٰ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾** [الأحزَاب: ٦]، **وقال ﷻ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ**

(١) تقدَّم تخريجه.

﴿تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤]» فتوعد الله مَنْ قدَّم واحدًا من الأصناف الثمانية علىٰ محبة الله ورسوله وهدَّدَهُ، وجعله من الفاسقين فقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤]، «وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه مِنْ ولده ووالده والناس أجمعين»[(١)]» فنفىٰ كمال الإيمان الواجب، فلو قدَّم محبة أي شيء علىٰ محبة الله ورسوله يكون آثمًا، ومحبة الله ورسوله هي أصل الإيمان، ومن لم يحب الله ورسوله فهو كافر، وكمال المحبة الواجب يكون بتقديم محبة الله ورسوله علىٰ كلِّ محبة سواهما، فالواجب أن يقدَّم محبة الله ورسوله ﷺ علىٰ كلِّ شيء.

○ قوله: «وقال له عمر رضي الله عنه: «يا رسول الله، والله لأنت أحب إليَّ مِنْ كلِّ شيء إلَّا مِنْ نفسي»» فاستثنىٰ نفسه «فقال: «لا يا عمر» يعني: لا تبلغ المحبة الواجبة «حتىٰ أكون أحب إليك مِنْ نفسك»، قال: «فأنت أحب إليَّ مِنْ نفسي»، قال: «الآن يا عمر[(٢)]» الآن بلغت المحبة الواجبة، «وقال: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان» يعني: لذته وطعمه «مَنْ كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومَنْ كان يحب المرء لا يحبه إلَّا لله، ومَنْ كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقىٰ في النار»[(٣)]»،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب «حب الرسول ﷺ من الإيمان»، رقم (١٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (٤٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب «كيف كانت يمين النبي؟»، رقم (٦٦٣٢) عن عبد الله بن هشام رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب «حلاوة الإيمان»، رقم (١٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (٤٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وقد بيَّن في كتابه حقوقه التي لا تصلح إلَّا له» وحق الله العبادة ولا تصرف لغيره، فمن صرف العبادة لغير الله للرسول أو لغيره فهو مشرك، وأما الطاعة فهي مشتركة تكون لله وللرسول ﷺ، «**وحقوق رسوله، وحقوق المؤمنين بعضهم علىٰ بعض، كما بسطنا الكلام علىٰ ذلك في غير هذا الموضع، وذلك مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٥٢﴾** [النُّور: ٥٢]، **فالطاعة لله والرسول والخشية والتقوىٰ لله وحده**» فالخشية من حقوق الله الخاصَّة، فلا تقول: «أنا أخشىٰ الله وأخشىٰ الرسول»، والتقوىٰ كذلك من حقوق الله الخاصَّة، «**وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ٥٩﴾** [التَّوبَة: ٥٩] **فالإيتاء لله والرسول**» حق مشترك لهما، «**والرغبة لله وحده، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾** [الحَشر: ٧]؛ **لأن الحلال ما أحله الله ورسوله، والحرام ما حرَّمه الله ورسوله، وأما الحسب فهو لله وحده كما قال: ﴿وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ﴾** [التَّوبَة: ٥٩]» يعني: يكفينا الله «**ولم يقولوا: «حسبنا الله ورسوله»، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤﴾** [الأنفَال: ٦٤] **أي: يكفيك الله ويكفي من اتبعك من المؤمنين، وهذا هو الصواب المقطوع به في معنىٰ هذه الآية**[1]» أي: حسبك الله وهو حسب مَن اتبعك مِنْ المؤمنين، ومن قال: حسبك الله وحسبك المؤمنون وعطف «من اتبعك» علىٰ الاسم الشريف فهذا باطل؛ لأنه يجعل الكفاية لله وللمؤمنين، والمعنىٰ الصحيح يكفيك الله ويكفي أتباعك المؤمنين، «**ولهذا**» يعني: لما كان الحسب والكفاية

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٠/ ٣٧).

خاصًّا بالله «كانت كلمة إبراهيم ومحمد عليهما الصَّلاة والسَّلام «حسبنا الله ونعم الوكيل»» في «صحيح البخاري»[١] عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ «حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٧٣]».

○ قوله: «ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العلي العظيم، والحمد لله وحده، والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم» والحمد لله علىٰ التمام.

«وصلىٰ الله علىٰ خير خلقه سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم».

❁ ❁ ❁

(١) تقدم تخريجه.

فِهْرِسُ المَوْضُوعَاتِ

الموضوع	رقم الصفحة
مُقدِّمَةُ الشَّارِح:	٥
نص السؤال:	١٣
بداية الجواب في إخلاص العبادة لله وحده:	٢٢
ما لا يقدر عليه إلَّا الله لا يطلب إلَّا منه تعالىٰ، وما يقدر عليه العبد قد يجوز أن يطلب منه وقد ينهىٰ عن ذلك :	٣٦
جواب السؤال الأول:	٣٧
من المشروع دعاء غائب لغائب:	٤٦
يشرع طلب الدعاء ممن هو فوقه ودونه:	٤٨
زيارة القبور المشروعة، وليس فيها حاجة الحي للميت:	٥٥
أقسام سؤال الميت والطلب منه	
القسم الأول : سؤال الميت ما لا يقدر عليه إلَّا الله:	٥٩
القسم الثاني : أن يطلب من الميت أن يدعو له:	٧١
جواب السؤال الثاني:	٨١
جواب السؤال الثالث:	٨٩
القسم الثالث : التوسل بجاه الأنبياء والصالحين وبركتهم:	٩٣
جواب السؤال الرابع:	١٢٠
جواب السؤال السادس:	١٢١
جواب السؤال الخامس:	١٢٨
جواب السؤال السابع:	١٣٢
فهرس الموضوعات:	١٥٩